غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد السابع والخمسون

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

نسخة مجانية

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

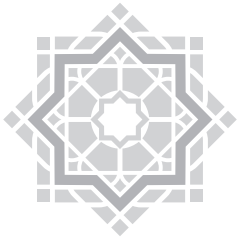

المِحْوَرُ السَّادِسُ

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ وعُلُومُهَا

١٠٤ مدخل لدراسة السُّنَّة النبويَّة

١٠٥ كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

المحور السادس

السُّنَّة النبويَّة وعلومها

١٠٤

مدخل لدراسة السُّنَّة النبويَّة

الإمام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**نضَّر الله امرأً سمع منَّا حديثًا فحفظه حتى يُبلِّغه، فربَّ مبلَّغٍ أحفظُ له من سامع**». رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

عن العِرْباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوصيكم بتقوى اللهِ والسمعِ والطاعة وإنْ كان عبدًا حبشيًّا، فإنَّه من يَعِشْ منكم يرى بعدي اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحْدَثَات الأمور، فإنَّ كلَّ مُحْدَثَة بدعة، وإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة**». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

عن المقدام بن مَعْدِيكرِب الكِنْدِي قال: قال رسولُ ﷺ: «**ألا إنِّي أوتيتُ الكتاب ومثله معه، ألا إنِّي أوتيتُ القرآن ومثله معه، ألا يوشكُ رجلٌ ينثني شبعانًا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه**». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن اتبع هداه.

(أمَّا بعد)

فقد رغب إليَّ قسم التفسير والحديث بكلية الشريعة ـ جامعة قَطَر ـ بإعداد كتاب يصلح مدخلًا لدراسة السُّنَّة النبويَّة وفق البرامج المطوَّرة للكلية، فقمتُ بتوفيق الله تعالى بإعداد هذا الكتاب، وقد ضَمنته أهم مباحث هذه الدراسة من التعريف بالسُّنَّة، وثبوتها وبيان حجيَّتها، وجهود المسلمين في حفظها، وعُنيت فيه ببيان المبادئ الأساسية للتعامل مع السُّنَّة المطهَّرة، وبيان المعالم والضوابط اللازمة لفهم السُّنَّة فهمًا صحيحًا[1]، بعيدًا عن تضييق الجامدين، وتمييع المتهاونين، وتخيرت من الروايات أوثقها متقيدًا بمحكمات القرآن والسُّنَّة، ومقاصد الشريعة وقواعدها، ومحاولًا إنصاف السُّنَّة من خصومها اللُّدّ، ثمَّ من أنصارها

(١) اقتصرنا في هذه الطبعة على التعريف بالسُّنَّة، وثبوتها وبيان حجيتها، وجهود المسلمين في حفظها، أمَّا المبادئ الأساسية للتعامل مع السُّنَّة المطهَّرة، وبيان المعالم والضوابط اللازمة لفهم السُّنَّة، فلم نوردها، وستجدها كاملة في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة.

QaradawiBooks.com

الَّذين يسيئون إليها بضيق أُفقهم ـ مع حُسن نيتهم وإخلاصهم ـ وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا.

هذا، واللهَ أسأل أن أكون بما كتبت من زمرة «الخلف العدول» الَّذين ينفون عن علم النبوَّة تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وعسى أنْ أنال بذلك شفاعة سيِّد المرسلين وخاتم النَّبيين، والحمد لله رب العالمين.

يوسف القرضاوي

الدوحة: جمادى الأولى ١٤١١هـ

نوفمبر ١٩٩٠م

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

السُّنَّة ومحتواها وأهميتها

- تعريف السُّنَّة ومحتواها.
- السُّنَّة من حيث أهميتها وحجيتها.
- السُّنَّة عند مدرسة الرأي.
- جميع الفقهاء يحتكمون إلى السُّنَّة.
- السُّنَّة مصدر لتوجيه السلوك.
- السُّنَّة ترسم المنهج التفصيلي للحياة الإسلاميَّة.
- اختلاف مدى تفصيل السُّنَّة باختلاف موضوعاتها.
- علاقة السُّنَّة بالقرآن.
- دعوى الاستغناء بالقرآن عن السُّنَّة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

تعريف السُّنَّة ومحتواها

السُّنَّة في اللغة:

قال العلَّامة الراغب الأصفهاني في «مفردات القرآن»: السُّـنَنُ: جمع سُنَّة، وسُنَّةُ الوجه: طريقته، وسُنَّةُ النَّبيِّ: طريقته الَّتي كان يتحرَّاها[١].

وقال العلَّامة عبد الحميد الفَرَاهِي: «هي طريق قوم. فإذا نُسبتْ إلى شـخص واحد كان المراد أنَّه الإمام. وكذلك إذا نُسبت إلى الرب تعالى كان المعنى أنَّها طريق عامّة يجري بها أمره فـي عباده. كما قال تعالى: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ٨٥]»[٢].

وقال الإمام ابن الأثير في «النهايـة»: «قد تكرَّر في الحديث ذكر «السُّـنَّة» وما تصرَّف منها، والأصـل فيها الطريقـة والسـيرة. وإذا أطلقت في الشـرع فإنَّما يـراد بها ما أمـر به النبـي ﷺ ونهـى عنـه وندب إليه قولًا وفعلًا، ممَّا لم ينطق بـه الكتاب العزيز. ولهذا يقال في أدلَّة الشرع: الكتاب والسُّنَّة، أي: القرآن والحديث. ومنه الحديث «**إنَّما أنسـى لأسُـنّ**»[٣] أي: إنَّما أُدفع إلى النسـيان لأسـوق الناس

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب مادة (س. ن. ن).

(٢) مفردات القرآن للفراهي صـ ١٩٦، نشر دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م.

(٣) رواه مالك في السهو بلاغًا (٣٣١)، تحقيق الأعظمي.

QaradawiBooks.com

بالهدايـة إلى الطريق المستقيم، وأبيِّن لهم ما يحتاجون أن يفعلوا إذا عرض لهم النسيان. ويجوز أن يكون من ســننت الإبل: إذا أحسنت رعيتها والقيام عليها.

ومنه حديث: «أنَّه نزل المُحصَّب ولم يســنَّه»[١] أي: لم يجعله سُــنَّة يعمل بها. وقد يفعل الشيء لسبب خاصٍّ فلا يعم غيره. وقد يفعل لمعنى فيزول ذلك المعنى ويبقــى الفعل على حاله متبعًــا، كقصر الصلاة في السفر للخوف، ثمَّ استمر القصر مع عدم الخوف.

ومنه حديث ابن عباس: «رمل رسول الله ﷺ وليس بسُنَّة»[٢] أي: أنَّه لم يســن فعله لكافَّة الأُمَّة، ولكن لسبب خاص، وهو أن يرى المشركين قوة أصحابه، وهذا مذهب ابن عباس، وغيــره يرى أنَّ الرمل في طواف القدوم سُنَّة.

وفي حديث محلم بن جثامة «اســنُن اليوم وغيِّر غدًا»[٣] أي: اعمل بسنتك الَّتي ســننتها في القصاص، ثمَّ بعد ذلك إذا شئت أن تغير فغير، أي: تغيِّر ما سننت.

وفيه: «إنَّ أكبر الكبائر أن تقاتل أهل صفقتك، وتبدِّل سنَّتك»[٤] أراد بتبديل السُّنَّة أنْ يرجع أعرابيًّا بعد هجرته.

(١) لم أقف عليه إلَّا عند ابن الأثير وفي كتب اللغة.

(٢) رواه مسلم في الحج (١٢٦٤)، وأحمد (٢٠٢٩)، وأبو داود في المناسك (١٨٨٥).

(٣) رواه أحمد (٢١٠٨١)، وقال مخرِّجوه: إســناده ضعيف. وأبو داود فــي الديات (٤٥٠٣)، عن ضمرة بن سعد.

(٤) قال ابن عبد البر في الاستذكار (٥٦٨/٨): وقد روي عن النبي ﷺ من مرسل الحسن وغيره. فذكره.

QaradawiBooks.com

وفي حديث المجوس: «**سنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب**»[١] أي: خذوهم على طريقتهم وأجروهم في قبول الجزية منهم مجراهم»[٢] انتهى.

فالسُّنَّة هي الطريقة المُتَّبعة أو المعتادة، سواء أكانت حسنة أم سيِّئة، وحسنها أو سوءها إنَّما يأتي على طريق الوصف أو الإضافة.

فمن الوصف: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنةً، فعُمِلَ بها بعده كُتِبَ له مثلُ أجر مَن عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة، فعُمِلَ بها بعده، كُتِب عليه مثل وزر مَن عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء**»[٣].

ومن الإضافة: تأخذ كلمة «سُنَّة» المدح أو الذم، حسب المضاف إليه. ففي الحديث: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي**»[٤] تكون السُّنَّة حسنة ومحمودة.

وفي حديث: «**ومبتغٍ في الإسلام سُنَّة الجاهلية**»[٥]. تكون السُّنَّة هنا سيئة ومذمومة.

---

(١) رواه مالك في الجزية (٩٦٨)، والشافعي في المسند (٤٣٠) ترتيب السندي، وعبد الرزاق في أهل الكتاب (١٩٢٥٣)، وابن أبي شيبة في الزكاة (١٠٨٧٠)، وضعَّفه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤٨)، عن عبد الرحمٰن بن عوف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة (س. ن. ن).

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.

(٤) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٢)، والحاكم في العلم (٩٥/١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٥٨٢/٩)، عن العرباض بن سارية، وهو الحديث الثامن والعشرون من أحاديث الأربعين النووية.

(٥) رواه البخاري في الديات (٦٨٨٢)، والبيهقي في النفقات (٢٧/٨)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك: حديث أبي سعيد عند الشيخين: «**لتتبعنَّ سَنَن**[١] **مَن قبلكم شِبرًا بشِبر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتموه!**». قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمَن؟**»[٢].

وحديث عبد الله بن عمرو عند الشافعي: «**لتركبُنَّ سُنَّة مَن كان قبلكم، حلوَها ومُرَّها**»[٣].

وفي القرآن استُعملت كلمة سُنَّة: مفردة ومجموعة، مُنكَّرة ومضافة، للدلالة في الغالب على القوانين الثابتة، الَّتي أقام الله عليها نظام الخلق، باعتبار أنَّها الطريقة المعتادة، الَّتي يجرى عليها القَدَر الإلٰهي في سياسة الخلق عامة، وفي عقاب الطغاة والمكذِّبين خاصة.

كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

---

(١) روي بفتح السين وبضم السين، وهو جمع سُنَّة، ومعناه: الطريق. قال الحافظ في الفتح: سَنَن بفتح السين للأكثر، وقال ابن التين: قرأناه بضمها. وقال المهلب: بالفتح أولى لأنَّه الذي يستعمل فيه الذراع والشبر، وهو الطريق. انظر: فتح الباري (٣٠١/١٣)، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٣٣٠) من طريق الشافعي، وصحَّح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٠١/١٣).

QaradawiBooks.com

وإذا أُطلقت كلمة «السُّـنَّة» مفـردة ومعرَّفة بالألـف واللام في لغة الصحابة وسَـلَف الأمة، انصرفت إلى سُنَّة النبي ﷺ، ويُراد بها: الطريقة الَّتي كان يتحرَّاها عليه الصلاة والسلام في تنفيذ ما بعثه الله بـه من الهدى، ودين الحق. وبعبارة أخرى: السُّنَّة تعني المنهاج النبوي، النظري والعملي، الَّذي جاء به ﷺ في فهم دين الله وتطبيقه في شـؤون الحياة كافة، وهي الَّتي حذَّر النبي ﷺ من الإعراض عنها، حين قال للمبالغين في التعبد والتزهُّد من أصحابه: «**إنَّما أنا أخشـاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّـي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوَّج النساء، فمَن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[(١)].

وكذلك قال لعبد الله بن عمرو بـن العاص، حين رآه ينزع إلى الغلوِّ في الصيام والقيام، وترك النساء: «**لكلِّ عملٍ شِـرَّة، ولكل شِرَّة فَتْرة**[(٢)]، **فمَن كانت فترته إلى سُـنَّتي فقد اهتدى، ومَن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**»[(٣)].

وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ كانت مهمته ـ بالإضافة إلى تبليغ ما أنزل الله إليه من القرآن، وتـلاوة آياته ـ تزكيـة المؤمنين، والتزكيـة كلمة تضم معنى الطهـارة، ومعنى النمـاء، فهو يطهِّرهم من الشـرك والرذائـل، وينمِّيهم

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) الشِّرَّة: بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء: الحرصُ على الشيء والنشاط له. والفَتْرة، بفتح فسكون: ضده، أي: العابد يبالغ في عبادته أول الأمر، ويجد في نفسه قوة على ذلك شوقًا ورغبة فيه، وكل مبالغ فلا بد أن تنكسـر همته، وتفتر قوته عن ذلك الجد عادة، فمنهم من يرجع حين الفتور إلى الاعتدال في الأمر، ويترك الإفراط فيه، فهذا مهتدٍ، ومنهم من يرجع حين الفتور إلى ترك العبادة بالكلية، والاشتغال بضدها، فهذا هالك، والله تعالى أعلم. قاله السندي في حاشيته على مسند أحمد، في الحديث (٦٤٧٧)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) رواه أحمـد (٦٧٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح. وابن حبان فـي المقدمة (١١)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

بالتوحيد والفضائل، فهي تتضمن التخلية والتحلية ـ كما يقولون ـ وبعبارة أخرى: يربِّيهم التربية العمليَّة المتكاملة المتضمِّنة لحُسن فهم الدين والإيمان به، إيمانًا يدفع إلى العمل به والعمل له، وذلك بالأسوة الحسنة.

ومع هذه التزكية العمليَّة يقوم بتعليمهم الكتاب الإلٰهي المنزَّل، بتفهيمهم معاني آياته، ومقاصد تشريعه، وأسرار توجيهه، وبيان ما غمض عليهم منه، وتفصيل ما أجمل من أوامره ونواهيه وأخباره، حتَّى لا يزيغوا في فهمه أو اتباعه.

كما يعلمهم مع الكتاب «الحكمة» النظريَّة، وتعني: العلم المقترن بأسرار الأحكام وغاياتها، الباعث على العمل، والعمليَّة، وتعني: اتباع أحسن الطرق وأفضل الأساليب في العمل والدعوة والجهاد: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ثم يعلمهم بعد ذلك ما لم يكونوا يعلمون، من أمور الدِّين، وشؤون الحياة، ممَّا يرقى بهم أفرادًا وجماعات في مدارج الكمال.

وهذه الشُّعَب الأربع من مهمته ﷺ هي الَّتي تتكوَّن منها سُنَّته، أو طريقته، أو منهجه، في فهم دين الله تعالى، وتطبيقه، والدعوة إليه كما أمره ربه ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهي الَّتي ذكرها القرآن في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]. وفي معناها آيات ثلاث أُخر، مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

QaradawiBooks.com

وهذه السُّـنَّة ـ أو هذا المنهج ـ بهذا المفهوم، قد أصبحت ـ بجوار الـقـرآن الكريم ـ مصدرًا لمعرفة الإسلام معرفةً متقنة بالعمل والتطبيق، وقد أصبح هذا واضحًـا ومعلومًا لكل مَن دخل في الإسـلام في حياة النبي ﷺ نفسه.

وممَّا يدلُّ على أنَّ السُّنَّة قد عُرِفت في عهد النبي ﷺ باعتبارها قرينة للقرآن، وتالية له ما رواه مسـلم، عن أنس بن مالك قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالًا يُعلِّمونا القرآن والسُّنَّة، فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار، يقال لهم: القُرَّاء[١].

وقد اسـتعمل النبيُّ ﷺ كلمة السُّـنَّة قرينة للقرآن وتالية له، كما في حديث حذيفة عند البخاري ومسـلم: «**إنَّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثمَّ علموا من القرآن، ثمَّ علموا من السُّنَّة**»[٢].

وفي حديث ابن عباس: إنَّ رسـولَ الله ﷺ خطـب الناس في حجَّة الوداع فقال: «**إنَّ الشـيطان قد يئس أن يُعبـد بأرضكم، ولكن رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك ممَّا تحقرون من أعمالكم، فاحذروا! إنِّي قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبدًا: كتاب الله وسُنَّة نبيِّه**»[٣].

وقال النبيُّ ﷺ عن رمضان: «**شـهرٌ كتب الله عليكم صيامه** ـ أي في القرآن ـ **وسنَنْتُ لكم قيامَه**»[٤].

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (٦٧٧)، عن أنس بن مالك.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤٣)، عن حذيفة.

(٣) رواه الحاكم في العلم (٩٣/١)، وذكر له الحاكم شـاهدًا عـن أبي هريرة مرفوعًا، وصحَّحه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٠).

(٤) رواه أحمد (١٦٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الصيام (٢٢١٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٢٨)، عن عبد الرحمٰن بن عوف.

QaradawiBooks.com

بهذا استقرَّ عند الصحابة أنَّ من الشـــريعة ما جاء به القرآن العظيم، ومنه ما سَنَّه الرسول الكريم.

قال عمران بن حُصَين: نزل القرآن، وسَنَّ رسول الله ﷺ السُّنَن[١].

وقال عمر بن الخطاب: ســيأتي أُناسٌ يجادلونكم بشــبهات القرآن، فخذوهم بالسُّنَن، فإنَّ أصحاب السُّنَن أعلم بكتاب الله[٢].

وقال عمر في حديث فاطمة بنت قيس: لا ندعُ كتاب ربِّنا وسُنَّة نبيِّنا لقول امرأة لا ندري لعلَّها حفظتْ أو نسيت[٣].

وقال ابن مســعود: ما ســألتمونا عن شــيءٍ من كتاب الله تعالى نعلمه أخبرناكم به، أو سُنَّة من نبيِّ الله ﷺ أخبرناكم به، ولا طاقة لنا بما أحدثتم[٤].

وقال عِكرمة مولى ابن عباس: كان ابن عبَّاس يضع في رجلي الكبل (القَيْد) ويعلِّمني القرآن والسُّنَن[٥].

ومن قرأ ما جاء في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» حول كلمة «سُنَّة» وما يتعلَّق بها، يتبيَّن له أنَّها كلمة عربيَّة إسلاميَّة أصيلة، وليست مأخوذة من كلمة «مشــناه» العبريَّة، الَّتي كان يطلقهــا اليهود على مجموعة الروايات الإسرائيلية الشارحة للتوراة! وأنَّ المسلمين عرّبوها بكلمة «سُنَّة» كما زعم المستشرقون، فهذه دعوى باطلة ولا تستحقُّ المناقشة[٦].

---

(١) رواه أحمد (١٩٩٩٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف.

(٢) رواه الدارمي في المقدمة (١٢١).

(٣) رواه مسلم (١٤٨٠)، وأبو داود (٢٢٩١)، كلاهما في الطلاق.

(٤) رواه الدارمي في المقدمة (١٠٢).

(٥) رواه الدارمي في المقدمة (٥٧٢).

(٦) رد على هذه الدعوى الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت في كتابه: الإسلام عقيدة وشريعة صـ ٤٢٠ ـ ٤٢٢، نشر الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

السُّنَّة عند علماء الأُصول:

ومن هذا الاستعمال الشائع في صدر الإسلام، أخذ علماء الأصول مصطلح «السُّنَّة» بوصفها مصدرًا للتشريع تاليًا للكتاب العزيز، وعرَّفوها بأنها: ما جاء عن النبيِّ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. على اعتبار أنَّ ما وردَ عنه من ذلك هو الدالُّ على طريقته ﷺ، في فهم دين الله والعمل به.

السُّنَّة عند علماء الحديث:

وزاد عليهم علماء الحديث فاعتبروا السُّنَّة: ما أُضيف إلى النبيِّ ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، أو صفةٍ، أو سيرةٍ. فالسُّنَّة عندهم تتضمَّن هذه الأنواع الخمسة، وهي بهذا مرادفة له «الحديث» عند أكثرهم.

السُّنَّة عند الفقهاء:

وقبل أن نحلِّل هذا التعريف، ونمثل له، أود أن أشير هنا إلى أن كلمة «سُنَّة» أطلقت على معنيين آخرين:

فقد أطلقها الفقهاء على ما يقابل الفرض والواجب ـ عند مَن يقول بالواجب ـ فهي بمعنى المندوب أو المستحَب، وهو ما يطلبه الشرع طلبًا غير جازم، بحيث يُثاب على فعله، ولا يُعاقَب على تركه، فيقولون: الركعتان قبل صلاة الفجر سُنَّة، وصيام ستَّة من شوال ـ بعد عيد الفطر ـ سُنَّة، ويختلفون في صلاة الجماعة للرجال: أهي سُنَّة أم فرض كفاية، أم فرض عين؟ وصلاة الوتر: سُنَّة أم واجب؟ وهكذا.

فالسُّنَّة عند الأصوليين دليل من أدلَّة الأحكام الشرعية، وعند الفقهاء حكم شرعي، يثبت للفعل بهذا الدليل. أي هي أحد الأحكام الشرعيَّة الخمسة عند الفقهاء.

QaradawiBooks.com

وأُطلقت السُّـنَّة في مقامٍ آخر على ما يقابل البدعة، ويشـير إلى ذلك حديث العرباض بن سارية: «**إنَّه مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكـم ومحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة**»[(١)].

وقال ابن مسـعـود: الاقتصـاد في السُّـنَّة خير من الاجتهـاد في البدعة[(٢)].

وفي بعض الآثار: «**ما أحدث قومٌ بدعةً إلَّا رُفِع مثلُها من السُّـنَّة**»[(٣)]. واشتهر عند الفقهاء: طلاق السُّنَّة، وطلاق البدعة.

عَوْد للسُّنَّة عند علماء الحديث:

ولنعد إلى تعريف السُّـنَّة عنـد علماء الحديث، لنُلقي الضـوء على مـضـمـونـه، فالسُّـنَّة عندهم تشـمل أقوالَ النبيِّ ﷺ وأفعالَه وتقريراتِه وصفاتِه الخُلُقيَّـةَ والخِلقيَّةَ وسـيرتَه. فلنتحدَّث عن كل قسـم من هذه الأقسام الخمسة:

الأقوال النبويَّة:

أمَّا أقوال النبيِّ ﷺ فتنقسم ـ كما ينقسم كل كلام ـ إلى خبر، وإنشاء (بمعنى الطلـب). وأخبار النبـيِّ ﷺ قد تكون عن الله تعالى وأسـمائه وصفاته وأفعاله.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٣.

(٢) رواه ابن بَطَّة في الإبانة (١٦١)، تحقيق رضا معطي وآخرين، نشر دار الراية، الرياض.

(٣) رواه أحمـد (١٦٩٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيـف. وجوَّد إسـناده الحافظ في الفتح (٢٥٣/١٣)، عن غُضَيْف بن الحارث.

QaradawiBooks.com

مثل حديث أبي هريرة: «**إنَّ لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلَّا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنَّة**»(١).

ومثل: «**إنَّ الله تعالى لمَّا خلق الخلق كتب بيده على نفسه: إنّ رحمتي تغلب غضبي**»(٢).

وحديث سلمان: «**إنَّ الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كلُّ رحمةٍ طِباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فيها تَعْطِف الوالدةُ على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، وأخّرَ تسعةً وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**»(٣).

ويدخل في ذلك الحديثُ القُدُسي، لأنَّه خبر عن الله تعالى. والراجح: أنَّ معناه من عند الله تعالى، ولفظه من عندِ النبيِّ ﷺ كالحديث الَّذي يرويه مسلم عن أبي ذرٍّ، عن النبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ ـ قال: «**يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تَظالموا...**»(٤).

ومنه: إخباره عن عالَم الغيب، مثل الملائكة والجنِّ، والعرش والكرسي ونحوها، ممَّا لا يدخل تحت دائرة الإدراك الحسِّي، والعلم البَشري.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشروط (٢٧٣٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٧).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٤)، ومسلم في التوبة (٢٧٥١).

(٣) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٣)، وأحمد (٢٣٧٢٠).

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

مثل قوله فيما رواه مسلم: «**خُلِقَت الملائكة من نور، وخُلِقَت الجِنُّ من النَّار**»[١].

ومن ذلك ما يذكره عن الحياة البرزخيَّة (ما بعد الموت) وعن الدار الآخرة، وما فيها من أحوال وأهوال، وثواب وعقاب، وجنَّة ونار.

مثل: إخباره عن سؤال القبر ونعيمه وعذابه، وعن البعث والحشر، والموقف والشفاعة، والحساب والميزان والصراط، وألوان النعيم في الجنة، وأنواع العذاب في النار.

ومن أخباره ﷺ ما قصَّه علينا من سير الماضين من الأنبياء وأقوالهم، والصالحين وأحوالهم، مثل قصَّة إبراهيم وإسماعيل وموسى، وقصَّة أصحاب الغار[٢]، وقصَّة الأعمى والأبرص والأقرع[٣]، وقصَّة مَن قتل تسعةً وتسعين نفسًا[٤]، وغيرها من القصص الَّتي يحتاج إليها الدعاة والمربُّون، لما لها من قوة التأثير في الأنفس والعقول.

ويدخل في أخباره ﷺ ما يذكره عن المستقبل، ممَّا أطلعه الله عليه، لأنَّه ﷺ لا يعلم من الغيوب إلَّا ما أعلمه الله به[٥]، سواء أكان ممَّا يقع لأمَّته أم للناس كافَّة، وسواء أكان ممَّا يسوء أم ممَّا يَسُر، فهو نذير

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٦)، وأحمد (٢٥١٩٤)، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢١٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٤٣)، عن ابن عمر.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٤)، ومسلم في الزهد (٢٩٦٤)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٦)، عن أبي سعيد الخدري.

(٥) قال تعالى في كتابه: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

QaradawiBooks.com

وبشـــير لقومٍ يؤمنون، ويشـــمل ذلك ما أُطلق عليه: «أحاديث الفتن، وأشراط الساعة» وقد وقع كثير ممَّا أخبر به ﷺ من أحداث المستقبل، بعضهـــا وقع في عهـــد الصحابة مثـــل قوله لعمَّـــار: «**تقتلـــكَ الفئةُ الباغية**»[(١)]، وقوله عن الحسن: «**إنَّ ابني هذا ســـيِّد، وسيُصلح الله به بين فئتَيْن من المسلمين**»[(٢)].

وبعضها وقع بعد ذلك بقرون، مثل «فتح القُسْطَنْطِينِيَّة» الَّذي بَشّر به النبي ﷺ ورواه عنه عبد الله بن عمرو[(٣)].

وبعضها لا يزال يقع اليوم، نراه بأعيننا، ونلـمسـه بأيـديـنـا، مـثـل حديث أبي هريرة عند مسلم: «**صنفان من أهل النَّار لم أرَهما: قوم معهم ســياطٌ كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونســاء كاســيات عاريات،**

---

(١) رواه البخاري في الصلاة (٤٤٧)، عن أبي ســعيد الخدري. ومســلم في الفتن (٢٩١٥)، عن أبي قتادة، و(٢٩١٦)، عن أم سلمة.
والحديث رواه جمٌّ غفير من الصحابة. ولذا نصَّ ابن عبد البر والذهبي في النبلاء (٤٢١/١)، وابن حجر في التلخيص (١٢٤/٤) وغيرهم على تواتره. وذكره الكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر صـ ١٢٦ عن واحد وثلاثين صحابيًا.
وذكر ابن حجر في الفتح (٥٤٣/١): أنَّه رواه جماعة من الصحابة، منهم قتادة بن النعمان، وأم ســلمة عند مســلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبو أيوب، وأبو رافع، وخزيمة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر، وعمار نفســه، وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عدهم.

(٢) رواه البخاري في الصلح (٢٧٠٤)، عن أبي بكرة.

(٣) إشــارة إلى حديــث عبد الله بن عمــرو: بينما نحن حول رســول الله ﷺ نكتب، إذ ســئل رســول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولًا: قســطنطينية أو رومية؟ رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤).

QaradawiBooks.com

مُميلات مائلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلْنَ الجنَّة ولا يجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها ليوجدُ من مسيرة كذا وكذا»[(١)]. فقرن الحديث بين الاستبداد السياسي، الَّذي يستخدم الجلادين لقهر الناس، وبين الانحلال الأخلاقي، الَّذي تستخدم فيه النساء «الكاسيات العاريات» أدوات لإثارة الشهوات، وإلهاء الجماهير عن قضاياها الكبرى.

ومثله حديث ثوبان عند أحمد وأبي داود: «**يُوشك أن تَتَداعَى عليكم الأمم** ـ من كلِّ أفق ـ **كما تَتَداعى الأكَلَة إلى قَصْعتها**». قالوا: أمن قِلَّة نحن يا رسولَ الله؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنَّكم غُثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ اللهُ من صدور عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفن في قلوبكم الوَهن**». قالوا: وما الوهن، يا رسولَ الله؟ قال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**»[(٢)].

يشير الحديث إلى مؤامرة عالميَّة، لا زلنا نشهد فصولها إلى اليوم، تتَّفق فيها الأمم المختلفة على اجتياح المسلمين، فيؤكل المسلمون لقمة سائغة، رغم كثرة أعدادهم، ولكنها كثرة كغُثاء السيل. وإنَّما شُبِّهت بالغُثاء، لأنَّه لا يجمع بينها تجانس ولا هدف، ولا مجرى معلوم، إلَّا الخفَّة والاندفاع والسطحية الَّتي هي صفة الغُثاء! كما يكشف الحديث عن العِلَّة الكامنة وراء ضعف المقاومة الإسلاميَّة، وهي ترجع إلى الكيف لا إلى الكم، ترجع إلى الضعف النفسي والخُلقي قبل كل شيء: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت!**».

---

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٧٠٨٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨).

QaradawiBooks.com

ومن ذلك: ما يذكره النبي ﷺ من أشراط الساعة وأماراتها الصغرى ـ ممَّا وقع معظمه بالفعل ـ مثل ما جاء في حديث جبريل: «**أنْ تلد الأمَةُ رَبَّتها، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة رِعاء الشَّاء، يتطاولون في البُنيان**»[(١)]. مشيرًا إلى التبدُّل الفُجائي الَّذي حدث في حياة بعض الجماعات، فتنتقل من بِرِّ الأمومة والأبوَّة إلى الجفاء والعقوق، حتَّى لكأنَّ المرأة تلد رَبَّتها لا ابنتها! وكذلك يتحوَّل المجتمع فجأة من البداوة إلى المدنية، ومن الشظف إلى التَّرف، ومن سكنى الخيام إلى سكنى البيوت والقصور الفاخرة، ومن المشي على القدمين ـ أو ركوب الحمار عند السَّعة ـ إلى ركوب السيَّارات الفارهة...، نتيجةً للثراء السريع الَّذي هبط عليهم، بدون معاناة ولا جهد جهيد، ممَّا يجعل سواد الناس يفقدون توازنهم، وينسون أنفسهم، ويتنكَّرون بسرعة لشخصيَّتهم التاريخيَّة، كما نشاهد ذلك في بعض المجتمعات النفطيَّة!

ولا يزال بعض هذه الأمارات مُنتظرًا، مثل أن «**يذهب الرجال ويبقى النساء حتَّى يكون لخمسينَ امرأةٍ قَيِّم واحد**». كما في حديث الصحيحين[(٢)].

وهناك الأمارات الكبرى للساعة: مثل نزول المسيح عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة الإسلام، ويقتل المسيح الدجال، كما تواترت بذلك الأحاديث[(٣)]، مثل ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة:

(١) رواه مسلم في الإيمان (٨)، وأحمد (١٨٤)، عن ابن عمر.

(٢) رواه البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١)، كلاهما في العلم، عن أنس بن مالك.

(٣) ألف في ذلك علَّامة الهند أنور الكشميري كتابًا سماه: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، حقَّقه وعلَّق عليه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة. وفيه أكثر من أربعين حديثًا من الصحاح والحسان. فضلًا عما دون ذلك.

QaradawiBooks.com

«**لينزلنَّ ابن مريم حكمًا عدلًا**»[١]، ومثل خروج الدابَّة، وطلوع الشمس من مغربها.

وممَّا يدخل في دائرة الخبر من أقواله ﷺ: ما يذكره ﷺ لبيان حقائق الأشياء، والمفاهيم والأعمال، وبيان قيمها ومراتبها، وما فيها من ثواب وعقاب.

مثل قوله في حديث جبريل المشهور:

«**الإسلام: أن تعبد الله ولا تُشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة...**

الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...

الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك»[٢].

«**المسلم: مَن سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر: مَن هجر ما نهى الله عنه**»[٣].

«**ليس الشديد بالصُرعة، إنَّما الشديد الَّذي يملك نفسه عند الغضب**»[٤].

«**سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه...**» الحديث[٥].

«**إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»[٦].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٨)، ومسلم في الإيمان (١٥٥)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩، ١٠)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٩)، عن أبي هريرة.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الكسوف (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

(٦) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

«**مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**»[١]، «**مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**»[٢].

ومن هذه الأحاديث ـ كما رأينا ـ ما يتضمَّن توجيهاتٍ دينيَّةً، وإرشادات أخلاقية، وترغيبًا في الخير وطاعة الله، وترهيبًا من الشرِّ ومعصية الله تعالى.

ومنها ما يتضمَّن تشريعًا ملزمًا للفرد المسلم وللجماعة المسلمة، وإن كان في صورة خبر.

كما في الحديث: «**لا تُشَدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[٣].

ومثل حديث: «**لا ضرر ولا ضرار**»[٤].

«**لا يُجمع بين المرأة وعمَّتها، ولا بين المرأة وخالتـها**»[٥].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٩٧)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس، والدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري، وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسـلًا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي ﷺ فأسـقط أبا سعيد، وله طرق يقوِّي بعضها بعضًا. وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢): وصحَّحه إمامنا (أي الشـافعي) في حرملة. وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢١٠/٢، ٢١١): وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث. وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبَّله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنَّه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم.
وهو صحيح بمجموع طرقه. ومعناه مقطوع به من اسـتقراء أحكام الشـريعة النافية للضرر والضرار، الثابتة بالقرآن والسُنَّة. ولهذا عُدَّ من القواعد الشرعية المسلَّمة عند الجميع.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨)، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

«**يَحْرُم من الرضاع ما يَحْرُم من النسب**»[(١)].

«**لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر**»[(٢)].

والإنشاء ـ بمعنى الطلب ـ من أقواله ﷺ يشمل: الأمر والنهي والدعاء، وما في معناها.

فمن أمثلة الأمر:

قوله ﷺ: «**اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتْبع السيِّئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالق الناسَ بخُلق حسن**»[(٣)].

«**صَلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي**»[(٤)].

«**صوموا لرؤيته ـ أي الهلال ـ وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا عدَّة شعبان ثلاثين**»[(٥)].

«**خذوا عَنِّي مناسككم**»[(٦)].

«**دعْ ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُكَ**»[(٧)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٤٥)، ومسلم في الرضاع (١٤٤٧)، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤) كلاهما في الفرائض، عن أسامة بن زيد.

(٣) رواه أحمد (٢١٣٥٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

(٤) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٨)، عن مالك بن الحويرث.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

(٦) رواه مسلم في الحج (١٢٩٧)، وأحمد (١٤٤١٩)، وأبو داود في المناسك (١٩٧٠)، عن جابر بن عبد الله.

(٧) رواه أحمد (١٧٢٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٨)، وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في الأشربة (٥٧١١)، وابن حبان في الرقائق (٤٩٨/٢)، والحاكم في البيوع (١٥/٢)، عن الحسن بن علي، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٨).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ومن أمثلة النَّهي:

«إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا، ولا تناجشوا، ولا تدابروا...»(١).

«لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله»(٢).

ومن أمثلة الدعاء:

«اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عصمة أمري، وأصلحْ لي دنياي الَّتي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرَتي الَّتي إليها معادي، واجعلِ الحياةَ زيادة لي في كلِّ خير، واجعلِ الموتَ راحةً لي من كلِّ شرٍّ»(٣).

ومن أدعيته ﷺ الاستعاذة مثل: **«أعوذ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق»**(٤).

«اللهم إنِّي أعوذُ بك أن أزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَضِلَّ، أو أُضَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَم، أو أجْهَلَ أو يُجْهَل عليَّ»(٥).

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٢٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٨)، وأحمد (٢٧١٢٢)، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٧)، وابن ماجه في الطب (٣٥٤٧)، عن خولة بنت حكيم السلمية.

(٥) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٩٤)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الاستعاذة (٥٤٨٦)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٨٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٩)، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

فهذه الاستعاذات ونحوها، خبر في صورتها، إنشاء في معناها، لأنَّها تتضمَّن طلبًا من الله بإعاذته ممَّا يكره.

وقد يتضمَّن الحديث الواحد: الخبر والطلب، أمرًا ونهيًا، مثل حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير، احرصْ على ما ينفعك واستعنْ بالله، ولا تَعْجِزْ، ولا تَقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا لكان كذا، ولكن قُلْ: قَدر الله وما شاء فعل، فإنَّ (لو) تفتحُ عملَ الشيطان**»[(١)].

وأحاديثه القوليَّة ﷺ منها القصير الموجز، الَّذي يتكوَّن من جملة واحدة، مثل: «**لا تغضب**»[(٢)].

ومنها الطويل الَّذي قد يستغرق صفحات، كحديثه ﷺ عما كان أو ما يكون، من قَصص الأوَّلين، أو أحوال القيامة، أو رؤيا رآها.

وأحاديثه ﷺ قد تكون ابتداءً بيانًا منه، لتعليم الناس ما يجب أن يعرفوه من دينهم، مثل قوله: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**»[(٣)]، «**ألا أدلُّكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟**»[(٤)].

ومن ذلك خطبه ﷺ في الجُمع والأعياد.

---

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، وأحمد (٨٧٤٤)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

(٤) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: حديث حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في تخريج الحلال والحرام (٤١٤)، عن الزبير بن العوام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

وقد تصدر منه جوابًا عن سؤال، مثل جوابه عن أسئلة جبريل، في حديثه المشهور عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة.

وقوله لمن قال له: يا رسولَ الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل فيه أحدًا بعدك. قال: «**قل: آمنتُ بالله ثمَّ استقمْ**»(١).

وقوله ـ لمن سأله: متى الساعة؟ ـ: «**إذا ضُيِّعَت الأمانةُ فانتظرِ الساعة**». قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظرِ الساعة**»(٢).

وقد تصدر عنه تعليقًا على شيء رآه، أو قول سمعه، كما في قصَّة الأعرابي الَّذي بال في المسجد، فهَمَّ به الصحابة، فقال لهم: «**لا تَزْرِمُوه** ـ أي: لا تقطعوا عليه بولته ـ **وصُبُّوا عليها ذَنوبًا من ماء، فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرين، ولم تُبْعَثوا مُعَسِّرين**»(٣).

ومثل ذلك ما قاله يوم مات ابنه إبراهيم، ووافق ذلك كسوف الشمس، فقال بعض الناس: إنَّما كُسِفت الشمس لموت إبراهيم، فقال: «**إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات الله، لا تكسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته**»(٤).

البلاغة النبويَّة:

والأقوال النبويَّة ـ الَّتي صحَّت عنه ﷺ طويلها وقصيرها تمثِّل ذروة البيان البَشري، والبلاغة الإنسانيَّة مبنى ومعنى، مضمونًا وشكلًا، فكرة

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، وأحمد (١٥٤١٦)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي.
(٢) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٥)، ومسلم في الطهارة (٢٨٤)، عن أنس بن مالك.
(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١)، كلاهما في الكسوف، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وأسلوبًا، فقد حوت من جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وحقائق المعرفة، وروائع التشريع، وبدائع التوجيه، وغرائب الأمثال، ونوادر التشبيه، ما لم يحوه كلامُ بليغ ولا حكيم، مع سهولةٍ فائقة، وعذوبةٍ رائعة، وحيويةٍ بالغة. جعلت في الكلمات روحًا يسري، كما تسري العصارة في الأغصان الحيّة. وهي أجدر أن توصَف بأنها تنزيلٌ من التنزيل، وقبسٌ من نور الذكر الحكيم، وهذا ما نوَّه به كبار الأدباء والبلغاء في مختلف العصور.

لنستمع إلى الجاحظ يصف كلامه ﷺ في «البيان والتبيين»: «هو الكلام الَّذي قَلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجَلّ عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلُّف، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي. فلم ينطق إلَّا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلَّا بكلام قد حف بالعصمة، وشُدّ بالتأييد، ويُسِّرَ بالتوفيق. وهذا الكلام الَّذي ألقى الله المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلَّة عدد الكلام.

وهو مع استغنائه عن إعادته، وقلَّة الحاجة إلى معاودته لم تسقط له كلمة، ولا زلَّت له قدم، ولا بارت له حُجّة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبز الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلَّا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلَّا بالصدق، ولا يطلب الفَلَج[1] إلَّا بالحقِّ، ولا يستعين بالخِلَابة[2]، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز

(١) الفلج: الفوز والظفر.

(٢) الخلابة: الخداع.

QaradawiBooks.com

ولا يلمز، ولا يُبْطِئ ولا يُعَجِّل، ولا يُسْـهِب ولا يحصر، ثمَّ لم يسـمع الناس بكلامٍ قطُّ أعمُّ نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ»[١].

ويقول أديب العربيَّة والإسـلام فـي هذا العصـر «مصطفى صادق الرافعي» في كتاب «إعجاز القـرآن»: «إذا نظرتَ فيما صحَّ نقله من كلام النبي ﷺ على جهة الصناعتين اللُّغويَّة والبيانيَّة، رأيته في الأولى مُسـدّد اللفظ، محكـم الوضع، جزل التركيب، متناسـب الأجـزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليف والنسـق، ثمَّ لا ترى فيه حرفًا مضطربًا، ولا لفظة مستدعاة لمعناها، أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداءً للمعنى وتأتيًا لسـره في الاسـتعمال، ورأيته حسـن المعرض، بيِّـن الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود، جيِّد الرصف، متمكِّن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثمَّ لا ترى فيه إحالة ولا اسـتكراهًا، ولا تـرى اضطرابًـا ولا خطلًا ولا اسـتعانة من عجز، ولا توسعًا من ضيق، ولا ضعفًا في وجه من الوجوه»[٢].

ويقول الأديب اللُّغوي الحُجَّة الأسـتاذ «محمود محمَّد شـاكر» في مقال المقتطف[٣]: «إنّ اتِّساع الفكرة في هذا الزمن، ثمَّ بساطتها، ثمَّ خفاء موضع الفلسفة العالية فيها، ثمَّ تغلغل النظرة الفلسفية إلى أعماق الحقيقة

(١) البيان والتَّبيين للجاحظ (١٣/٢ ـ ١٤)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) إعجاز القرآن للرافعي صـ ٢٢٠ ـ ٢٢١، نشـر دار الكتاب العربي، بيـروت، ط ٨، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) عدد يوليو سنة ١٩٣٤م صـ ١١٤، ١١٥.

QaradawiBooks.com

الحيّة في الكون: هو رأس ما يمتاز به كبـــار الأفذاذ والبلغاء في عصرنا هذا، وهو النوع الَّذي لم تعرفه العربيَّة إلَّا في القليل من شـــعرائها، وفي القليل من شـــعر هؤلاء الشـــعراء، وليس في العربيَّة من هـــذا النوع إلَّا معجزتان: إحداهما: القرآن، والأخرى: ما صَحّ من حديث الرســـول ﷺ ففيهما وحدهما تبلغ الفكرة في نفسها، ثمَّ بتعبيرها وألفاظها، ثمَّ بشمول معانيها لجميع الحقائق الواشـــجة بها، ثمَّ بتنسمها في ألفاظها وكلماتها نســـمة الروح العطر في جو الســـحر، ثمَّ فوق ذلك كله البساطة واللين والتقارب والتعاطف بين هذه المعاني كلها: نقـــول: يبلغ هذا كله مبلغًا يكون منه ما هو كنســـيم الجنة في طيبه ونعمته، ويكون منه ما هو كحَزِّ المواســـي في علائق القلوب، ويكون منه ما هو كالنار تســـتعر وتتلذع، ويكون منها ما ينتظم البنيان الإنســـاني البليغ المتفهم فيهزه هزَّ الزلزلةِ أعصابَ الأرضِ، وبهذا كان القرآن معجزًا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبمثله كان حديث الرسول ﷺ وهو ذروة البلاغة البَشريَّة الَّتي تتقطع دونها أعناق الرجال»[1].

أهميَّة الأحاديث القوليَّة:

وإنَّما أطلتُ الكلام هنا عن الجانب القولي من السُّنَّة، لأنَّ الأحاديث القوليَّة تمثل في الواقع جمهرة السُّـــنَّة، وعليها مدار التوجيه والتشريع، وفيها يتجلَّى البيان النبوي، وتتمثل البلاغـــة المحمدية بأجلى صورها، وفيها «جوامع الكلـــم» الَّتي خَـــصَّ الله بها خاتم رســـله ﷺ ويراد بها: الأحاديث الَّتي جمعت في ألفاظ قليلة معاني جَمَّة.

(١) جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شـــاكر (٦٨٨/٢) جمع د. عادل سليمان جمال، نشر مكتبة الخانجي، ط١، ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

كما أنَّ بعض المتطاولين في عصرنا، زعم أنَّه لا يقبل إلَّا السُّنَّة الفعلية فحسب، أمَّا الأحاديث القولية، فهو يردها.

والحق: أنَّ مَن فعل ذلك إنَّما يرفض السُّنَّة كلها، إذ السُّنَّة الفعلية لا تمثل إلَّا جانبًا يسيرًا ممَّا تضمَّنته دواوين السُّنَّة.

على أنَّ أفعاله ﷺ بمجردها لا تدلُّ على أكثر من جواز الفعل، أمَّا استحبابه أو وجوبه، فلا بدَّ أن يدلَّ عليه دليل من قوله ﷺ.

وذلك مثل قوله في أفعال الصلاة: «**صلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي**»[١].

وقوله في أفعال الحج: «**خذوا عَنِّي مناسككم**»[٢].

فعله ﷺ:

والجانب الثاني من السُّنَّة يتمثَّل في فعله ﷺ، أي: ممارساته العمليَّة في حياته الخاصَّة والعامَّة، والدينيّة والدنيويَّة، فكلها قد نُقِلَ عنه، حتَّى أخصّ الأمور، في حياته البيتيَّة وعلاقاته الزوجيَّة.

وإذا كان لبعض العظماء جوانب مستورة في حياتهم الخاصة، بما فيها من هنات أو ثغرات لا يعرفها إلَّا أصفياؤهم، ولا يحبون أن تُحكَى عنهم، فإنَّ رسول الله ﷺ لم يحجر على أحد من أزواجه، أو أصحابه أن ينقل عنه ما يرى أو يسمع، ولهذا رويت تفاصيل حياته اليوميَّة، في نومه ويقظته، وخلوته وجلوته، ومدخله ومخرجه، ومأكله ومشربه، وملبسه ومركبه، وضحكه وبكائه، وسفره وحضره، وسلمه وحربه، وهكذا؛ لأنَّها كلَّها موضع الائتساء والقدوة، وهديه ﷺ في ذلك خير الهدي وأكمله.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٨.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولهذا نجد من أحاديث الأفعال ما يتعلق بعبادته:

من طهارة: كقول عائشة: كان ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جُنَب، غسل فرجه وتوضأ للصلاة[١].

ومن صلاة: مثل قول أنس: كان إذا اشتدَّ البرد بَكَّر بالصلاة، وإذا اشتدَّ الحرُّ أبرد بالصلاة[٢].

ومن صيامٍ: كقول أبي هريرة: كان يصوم الاثنين والخميس[٣].

ومن صدقةٍ: كقول أنس: كان لا يُسأل شيئًا إلَّا أعطاه أو سكت[٤].

ومن حجٍّ: كقول عائشة: كان إذا أراد أن يُحْرِم تطيَّب بأطيب ما يجد[٥].

ومن ذِكْرٍ: كقول عباد بن الأخضر: كان إذا أخذ مضجعه قرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٦].

ومن أحاديث الأفعال: ما يتعلق بحياته العادية مثل الأكل، والشرب، واللبس، والنوم ونحوها، كقول أنس: كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث[٧].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الغسل (٢٨٨)، ومسلم في الحيض (٣٠٥)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الجمعة (٩٠٦).

(٣) رواه أحمد (٨٣٦١)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه في الصيام (١٧٤٠)، وصحَّحه الألباني في تمام المنة صـ ٤١٣.

(٤) رواه مسلم في الفضائل (٢٣١٢)، وأحمد (١٢٠٥١)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (٩١).

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٩٢٣)، ومسلم في الحج (١١٩٠).

(٦) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٨٧٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠٣٢): رواه الطبراني، وفيه يحيى الحماني، وجابر الجعفي، وكلاهما ضعيف.

(٧) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٤)، وأحمد (١٤٠٨٩)، وأبو داود (٣٨٤٥)، والترمذي (١٨٠٣)، كلاهما في الأطعمة.

QaradawiBooks.com

وقوله: إذا شرب تنفَّس ثلاثًا، ويقول: «**هو أهنأ، وأمرأ، وأبرأ**»[١].

وقول علي: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يشرب قائمًا[٢].

وقول ابن عمر: كان إذا اعتمَّ سدل عمامته بين كتفيه[٣].

وقول أبي سعيد: كان إذا جلس احتبَى بيديه[٤].

وقول عائشة: كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك[٥].

وقولها: كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوِّذات، ومسح عنه بيده[٦].

وقول حفصة: كان إذا أراد أن يرقــد وضع يده اليمنى تحت خده ثمَّ يقول: «**اللَّهم قني عذابَكَ يومَ تبعث عبادَك**» ثلاث مرَّات[٧].

ومن الأحاديث ما يتصل بحياته المنزلية وعلاقته بأزواجه:

كقول مَيْمُونة: كان إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه ـ وهي حائض ـ أمرها أن تَتَّزِر ثمَّ يباشرها[٨].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨)، كما رواه أحمد (١٢١٨٦)، وأبو دواد في الأشربة (٣٧٢٧)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الأشربة (٥٦١٥).

(٣) رواه الترمذي في اللباس (١٧٣٦)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في التاريخ (٦٣٩٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده قويٌّ. وصحَّحه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية (٩٤).

(٤) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٦)، وقال: عبد الله بن إبراهيم شيخ منكر الحديث. والترمذي في الشمائل (١٢٢)، وقال الألباني في الصحيحة (٨٢٧) بعد أن ذكر كلام أبي دواد: صحيح لغيره؛ له شواهد كثيرة تؤيده.

(٥) رواه مسلم في الطهارة (٢٥٣).

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤٣٩)، ومسلم في السلام (٢١٩٢).

(٧) رواه أحمد (٢٦٤٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في النوم (٥٠٤٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٧٥٤) دون قوله: ثلاث مرات.

(٨) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣)، ومسلم (٢٩٤)، كلاهما في الحيض.

QaradawiBooks.com

وقول أنس: كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل أو النَّهار[١].

وقول عائشة: كان يُقَبِّل بعض أزواجه ثمَّ يُصلِّي ولا يتوضَّأ[٢].

وقولها: كان يُقَبِّل وهو صائم[٣].

وقولها: كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيَّتُهنَّ خرج سهمها خرج بها معه[٤].

وقولها: كان إذا التقى الختانان اغتسل[٥].

ومن أحاديث الأفعال ما يتعلَّق بعلاقاته الاجتماعيَّة والعسكريَّة والسياسيَّة:

كقول سهل بن حَنِيف: كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم[٦].

وقول عبد الله بن جعفر: كان إذا قَدِمَ من سفر تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته[٧].

وقول كعب بن مالك: كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها[٨].

---

(١) رواه البخاري في الغسل (٢٦٨).

(٢) رواه أحمد (٢٥٧٦٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٧٩)، والنسائي في الطهارة (١٧٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٢٣).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦)، كلاهما في الصيام.

(٤) رواه البخاري في الهبة وفضلها (٢٥٩٣)، وأحمد (٢٤٨٥٩)، وأبو داود في النكاح (٢١٣٨).

(٥) رواه أحمد (٢٤٩١٤)، ومسلم في الحيض (٣٤٩) بنحوه.

(٦) رواه الحاكم في التفسير (٤٦٦/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والطبراني (٨٤/٦).

(٧) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٨)، وأحمد (١٧٤٣).

(٨) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٤٧)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٩).

QaradawiBooks.com

وقول عبد الله بن بُسْـــر: كان إذا أتى بابَ قومٍ لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن، أو الأيســـر ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم[١].

وقول عوف بن مالك: كان إذا أتاه الفيء قســـمه فـــي يومه، فأعطى الآهل حَظَّيْن، وأعطى العَزَبَ حظًّا[٢].

ويدخل في فعله ﷺ أقضيته وأحكامه، الَّتـــي رويت عنه بغير لفظٍ، كما في حديث ابن عبَّاس رضي الله عنه: قضى رسول الله ﷺ بيمينٍ وشاهد[٣].

يعني أنَّ النبيَّ ﷺ أقام اليمين مقام الشاهد الثاني في بعض الأحوال.

وكحديث بَهْز بن حَكِيم، عن أبيه، عن جَدِّه: أنَّ النبيَّ ﷺ حبس رجلًا في تهمة[٤].

وكحديث أبي هريرة: أنَّ رسولَ الله ﷺ قضى في جنين امرأةٍ من بني لِحْيَان بغُرَّة: عبد أو وليدة (أمة)، ثمَّ إنَّ المـــرأة الَّتي قضى عليها بالغُرَّة توُفِّيت فقضى رسول الله ﷺ أنَّ ميراثها لبنيها وزوجها، وأنَّ العَقْل (الدية) على عَصَبَتها[٥].

---

(١) رواه أبـــو داود فـــي الأدب (٥١٨٦)، والبيهقي في الشـــعب (٨٤٣٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٣٨).

(٢) رواه أحمد (٢٣٩٨٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الخراج والإمارة والفـــيء (٢٩٥٣)، وابن حبان في الســـير (٤٨١٦)، وصحَّحـــه الألباني في صحيح أبي داود (٢٥٦٠).

(٣) رواه مسلم في الأقضية (١٧١٢)، وأحمد (٢٩٦٧).

(٤) رواه أحمد (٢٠٠١٩)، وقال مخرِّجوه: حســـن. أبو داود في الأقضية (٣٦٣٠)، والترمذي في الديات (١٤١٧)، وقال: حسن. والنسائي في قطع السارق (٤٨٧٦)، وحسَّنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٧٨٥).

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٤٠)، ومسلم في القسامة (١٦٨١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد ألَّف بعض العلماء في أقضيتــه وأحكامه ﷺ[١] وخصَّص لها العلَّامة ابن القيِّم جانبًا رحبًا في كتابه «زاد المعاد»[٢].

كما يمكن أن يدخل في أفعاله عليه الصلاة والسلام أوامــره ونواهيه الَّتي لم ترد بلفظه ﷺ.

كحديث البراء بن عازب: أمرنا رســولُ الله ﷺ بســبعٍ ونهانا عن سبعٍ... الحديث[٣].

وحديث الرُّبَيِّع بنــت مُعَــوِّذ: أنَّ النبيَّ ﷺ أمر امــرأةَ ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس ـ لما اختلفت مع زوجها ـ أن تتربَّص حَيْضة واحدة وتلحق بأهلها[٤].

وحديث أبي هريرة: نهى رسولُ الله ﷺ عن بيع الغَرَر[٥].

وحديث أبي جُحَيْفة: نهى عن ثمن الكلب، وثمن الدم، ومهر البَغِيِّ[٦].

وحديث جابر: نهى عن ثمن الكلبِ إلَّا الكلب المعلَّم[٧].

---

(١) أقضية رســول الله ﷺ للعلَّامة محمد بن الفرج القرطبي المالكي، المعروف بابن الطلاع (ت: ٤٩٧هـ) رحمه الله. جددت طباعته دار الكتاب العربي في بيروت عام ١٤٢٦هـ.

(٢) انظر: زاد المعاد (٥/٥ ـ ٧٤٠)، فصل في هديه ﷺ في الأقضية والأنكحة والبيوع، نشر مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٣٩)، ومسلم في اللباس (٢٠٦٦).

(٤) رواه الترمذي (١١٨٥)، وقال: الصحيح أنَّها أُمرت أن تعتد بحيضة. والنسائي (٣٤٩٧)، وابن ماجه (٢٠٥٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٥٨).

(٥) رواه مســلم في البيوع (١٥١٣)، وأحمد (٨٨٨٤)، وأبــو داود (٣٣٧٦)، والترمذي (١٢٣٠)، والنسائي (٤٥١٨)، ثلاثتهم في البيوع، وابن ماجه في التجارات (٢١٩٤).

(٦) رواه البخاري في البيوع (٢٠٨٦)، وأحمد (١٨٧٥٦)، وأبو داود في الإجارة (٢٠٨٦).

(٧) رواه أحمد (١٤٤١١)، وقال مخرِّجوه: حســن لغيره. والدارقطني فــي البيوع (٣٠٦٥)، وقال: الحسن بن أبي جعفر (أحد رواة الحديث) ضعيف.

QaradawiBooks.com

وقد ذكر الحافظ السيوطي في «جامعه الصغير» عددًا كبيرًا من أحاديث المناهي، ذكر العلَّامة الألباني الصحيح والحسن منها في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» فبلغت مائة وثلاثة وسبعين (١٧٣) حديثًا، وعنه نقلنا جلَّ ما هنا.

ومن الملحوظ أنَّ من هذه الأفعال النبويَّة، ما هو صادر عن الجبلة والطبيعة مثل ما صحَّ عنه ﷺ: أنَّه كان يحبُّ الدُّبَّاء[١] (القرع).

وأنَّه كان يعجبه الذراع[٢]. أي: لحم ذراع الشاة ونحوها.

ومنها ما هو صادر عن العادة، كلبسه العمامة، وسدلها بين كتفيه[٣].

ومنها ما صدر منه على وجه القُربة، أي: قصد التقرُّب إلى الله تعالى بفعله، كأفعاله في الصلاة، وفي مناسك الحجِّ والعُمرة، وأذكاره وأدعيته، وغيرها.

والفعل منه ﷺ دليل على مطلق الإذن فيه ـ ما لم يدل دليل: من قول، أو قرينة حال، أو غيرها ـ على تعيين نوع الإذن، من وجوب أو ندب أو إباحة.

والأصوليُّون مختلفون هنا على أربعة أقوال، والَّذي أرجِّحه منها: أنَّ ما ظهر قصد القُربة فيه فهو للندب، وإلَّا فللإباحة.

---

(١) رواه أحمد (١٢٨١١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٦٣٠)، عن أنس بن مالك.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧١٢)، ومسلم في الإيمان (١٩٤) بلفظ: أن رسول الله ﷺ أُتي بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٧.

QaradawiBooks.com

وقد حرص الصحابة ﷺ على الاقتداء به فيما ظهر لهم قصد القُربة فيه.

ولهذا رأينا عمر ﷺ يُقَبِّل الحَجَرَ الأسود، ويقول: إنِّي أعلم أنَّك حجر لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ قبَّلك ما قبَّلتك[١].

وأحيانًا كانوا يقتدون بفعله مع نهيهم عن ذلك، إذا ظهر لهم أنَّ النهي كان من باب الرحمة بهم، كما فعلوا في وصال الصوم، حيث نهاهم عن الوصال، وكان هو يواصل، فقالوا: تنهانا عن الوصال وتواصل؟ قال: «**وأيُّكم مثلي؟! إنِّي أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»[٢].

وكان منهم مَن يقتدي به في أفعاله، ولو لم يظهر فيها وجه القُربة، من كمال حبهم له، وشدة الحرص على اتِّباعه في كلِّ شؤونه، ومن هؤلاء عبد الله بن عمر ﷺ: فعن مجاهد قال: كنَّا مع ابن عمر في سفرٍ، فمرَّ بمكانٍ، فحاد عنه، فسُئِل: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ فعل هذا ففعلت[٣].

وعن زيد بن أسلم قال: رأيتُ ابن عمر يصلِّي محلولًا أزراره، فسألتُه عن ذلك فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يفعله[٤].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، كلاهما في الحج.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٩٩)، ومسلم في الصيام (١١٠٣)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٤٨٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٧٤).

(٤) رواه ابن خزيمة في الصلاة (٧٧٩)، وابن حبان في اللباس (٥٤٥٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف. والحاكم في الطهارة (١/٣٨٠) وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

وكان ابن عمر يأتي شجرة بين مكَّة والمدينة، فيقيل تحتها، ويخبر أنَّ رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك[١].

وعن ابن سيرين قال: كنتُ مع ابن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ بعرفات، فلمَّا كان حين راح رحتُ معه، حتَّى أتى الإمام، فصَلَّى معه الأولى والعصر، ثمَّ وقف معهم وأنا وأصحاب لي، حتَّى أفاض الإمام فأفضنا معه، حتَّى انتهى إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا، ونحن نحسب أنَّه يريد أن يُصلِّي فقال غلامه الَّذي يمسك راحلته: إنَّه ليس يريد الصلاة، ولكنَّه ذكر أنَّ النبيَّ ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته، فهو يحب أن يقضي حاجته[٢].

وقد ذكر هذه الآثار الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب»[٣] ثمَّ قال: والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم في اتباعهم له، واقتفائهم سُنَّته كثيرة جدًّا.

وممَّا يلحق بفعله ﷺ تركه أيضًا، بناء على أنَّ الترك هو كفُّ النفس عن الفعل، ولهذا ذهب جماعة من أهل الأصول إلى أنَّ الكف فعل، فإذا ترك عليه الصلاة والسلام أمرًا كان من السُّنَّة تركه. ومن هنا نجدهم يقولون: فعله ﷺ سُنَّة، وتركه سُنَّة.

وهذا واضح خصوصًا في أمور العبادات، فما تركه منها ـ مع قيام الدواعي إلى فعله وانتفاء الموانع فيه ـ كان من السُّنَّة تركه، وذلك مثل تركه صلاة العيد في المسجد، وتركه الصلاة قبلها وبعدها.

---

(١) رواه البزار (٥٩٠٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١٣): رجاله موثقون.

(٢) رواه أحمد (٦١٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) ذكره في الترغيب في اتباع السُّنَّة (١/٤٠ ـ ٤٣).

QaradawiBooks.com

وهذا ما جعل أبا بكر رضي الله عنه يتوقَّف في جمع القرآن أول الأمر عندما أشار عمر عليه قائلًا: كيف أفعل أمرًا لم يفعله رسولُ الله ﷺ؟ وما زال معه عمر حتَّى اقتنع ورأى في ذلك الخير للإسلام والمسلمين[1].

ولا ريب أنَّ النبيَّ ﷺ لم يفعل ذلك لمانع في ذلك الوقت، وهو أنَّ القرآن لم يكن قد اكتمل إنزاله، بل كان ينزل منجَّمًا حسب الوقائع، طوال مدة بعثته عليه الصلاة والسلام. فلم يكن من الممكن جمعه بين دفَّتَين قبل اكتمال نزوله.

وما فعله عثمان من جمع الناس على المصحف الإمام، إنَّما فعله لوجود دواع وموجبات لم تكن في عهد رسول الله ﷺ ولا عهد الشيخين.

وقد ترك ﷺ القيام في المسجد في رمضان بعد أن فعله بعض الليالي وصلَّى وراءه جمع من الناس، خشية أن يُفترض على الناس، فيشقَّ عليهم.

ولهذا لما زال هذا المانع بعد وفاته، ووُجِد الداعي إلى فعلِه، فعلَهُ عمر، وجمع الناس على إمام واحد.

ومن هنا حرص الصحابة على نقل تركه ﷺ إذا ظهر قصده إليه كما حرصوا على نقل فعله.

---

(١) رواه البخاري في الأحكام (٧١٩١)، عن زيد بن ثابت.

QaradawiBooks.com

ومن أمثلة ذلك:

حديث جابر بن سَمُرة: كان لا يؤذَّن له في العيدين[١].

وحديثه أيضًا: كان لا يُطِيل الموعظة يوم الجمعة[٢].

وحديث عائشة: كان لا يتوضَّأ بعد الغُسل[٣].

وحديث عبد الله بن عمرو: كان لا يأكل متَّكئًا[٤]، وغير ذلك كثير.

تقريره ﷺ:

والنوع الثالث من أنواع السُّنَّة: التقرير.

والمراد به: أن يرى ﷺ فعلًا، أو يسمع قولًا، أو يعلم به، فيقره ولا ينكر عليه، مع قُدرته على الإنكار، فهو عليه السلام لا يقرُّ باطلًا، ولا يسكت على منكر، فما أقرَّه دلَّ على أنَّه لا حرج فيه، وذلك كما قال ابن حزم: لأنَّ الله عز وجل افترض عليه التبليغ، وأخبر أنَّه يعصمه من الناس، وأوجب عليه أنْ يبيِّن للناس ما نزل إليهم، فمن ادَّعى أنَّه عليه السلام علم منكرًا فلم ينكره، فقد كفر، لأنَّه جحد أنْ يكون عليه السلام

(١) رواه مسلم في صلاة العيدين (٨٨٧)، وأحمد (٢٠٨٥٧).

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (١١٠٧)، والحاكم في الجمعة (٢٨٩/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٢٨٠٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (١٠١٤).

(٣) رواه أحمد (٢٤٣٨٩)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن بطرقه. والترمذي (١٠٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٢٥٢)، وابن ماجه (٥٧٩)، ثلاثتهم في الطهارة، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٧٠).

(٤) رواه أحمد (٦٥٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأطعمة (٣٧٧٠)، وابن ماجه في المقدمة (٢٤٤)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢١٠٤).

QaradawiBooks.com

بلَّغ كما أمر، ووصفه بغير ما وصفه ربُّه تعالى وكذَّبه في قوله عليه السلام: «**اللَّهمَّ هل بلَّغت؟**». فقال الناس: نعم. فقال: «**اللَّهمَّ اشْهَدْ**»[١]. قال ذلك في حجَّة الوداع[٢].

وقد يكون إقراره ﷺ للفعل بمجرَّد السكوت، وعدم الإنكار، كما في إقراره للمضاربة الَّتي كانوا يتعاملون بها في الجاهلية وبعد الإسلام، وكان من الصحابة مَن يمارسها، ولم ينكر عليهم. ولهذا أجمعت المذاهب كلها على مشروعيتها[٣]. وكما في قضيَّة صلاة العصر في بني قريظة، حين قال لهم بعد غزوة الأحزاب: «**لا يصلينَّ أحد العصر إلَّا في بني قُرَيْظة**». فأدرك بعضهم العصر في الطريق. فقال بعضهم: لا نُصلِّي حتَّى نأتيها. وقال بعضهم: بل نُصلِّي، لم يرد منا ذلك. فذُكِرَ ذلك النبي ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم[٤]، وهكذا اختلف اجتهادهم. فريق فهموا أنَّ المراد بالقول النبوي سرعة النهوض، وعدم التواني في تأديب القوم الَّذين غدروا برسول الله ﷺ والمسلمين معه، وأبى الآخرون إلاَّ الأخذ بظاهر النصِّ أو كما روى مسلم: لا نصلِّي إلَّا حيث أمرَنا رسولُ الله ﷺ وإنْ فاتنا الوقت[٥].

---

(١) رواه أبو داود في البيوع (٣٣٣٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٨٥٢)، عن عمرو بن الأحوص.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (١٣٩/١)، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٣) انظر: المحلَّى (٩٦/٧) مسألة (١٣٦٧)، نشر دار الفكر، بيروت

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة الخوف (٩٤٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

(٥) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٠) (٦٩).

QaradawiBooks.com

وأقرَّ النَّبيُّ ﷺ عمل الفريقين، فلم ينكر على واحد منهما. وبه استدلَّ جمهور العلماء على أنَّ مَن بذل وسعه فاجتهد لم يؤثم وإن أخطأ[١].

وقد يكون الإقرار بشيء أكثر من السكوت، كالتبسُّم وإظهار البِشر ونحو ذلك، كما في قصَّة عمرو بن العاص، حين صلَّى بأصحابه في ليلة شديدة البرد بلا غُسل، مكتفيًا بالتيمُّم. وكان قد أصابته جنابة، فشكوه إلى النبي ﷺ فسأله فقال: ذكرتُ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فتيمَّمتُ، ثمَّ صليتُ. فضحك النبيُّ ﷺ[٢].

وقد يكون بأكثر من ذلك مثل إقراره لعب الحبشة بحرابهم في المسجد في يوم العيد، وقوله لهم: «**دُونَكم يا بني أَرْفِدَة**»[٣]، وأذن لعائشة أن تنظر إليهم.

صفته ﷺ:

ومن السُّنَّة عند علماء الحديث: صفتُه عليه السلام، سواء أكانت خُلُقية أم خِلْقية، فمن صفته الخِلْقية قول أبي سعيدٍ: كان خاتم النبوَّة في ظهره بَضعة ناشزة[٤].

وقول جابر بن سمرة: كان خاتمه غُدَّة حمراء مثل بَيْضة الحمامة[٥].

---

(١) انظر: فتح الباري (٤٠٩/٧ ـ ٤١٠).

(٢) رواه أحمد (١٧٨١٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الطهارة (٣٣٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦١).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩٤٩، ٩٥٠)، ومسلم في (٨٢٩)، كلاهما في العيدين، عن عائشة.

(٤) رواه الترمذي في الشمائل (٢٢).

(٥) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٤٤)، وأحمد (٢٠٩٧٨)، والترمذي في المناقب (٣٦٤٤).

QaradawiBooks.com

وقول أنس: كان ضخم الرأس واليدين والقدمين[١].

وقوله: كان ربعةً من القوم، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير ـ أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم[٢].

وقول عليٍّ: كان ضخم الهامة، عظيم اللحية[٣].

وقول عائشة: كان شعره دون الجمَّة، وفوق الوفرة[٤][٥].

وقول ابن عمر: كان شَيْبُه نحو عشرين شعرة[٦].

وقول كعب بن مالك: كان إذا سُرَّ استنار وجهه، كأنَّه قطعة قمر[٧].

ومن صفته الخُلُقية:

قول عائشة: كان خُلُقه القرآن[٨].

وقول أبي سعيد: كان أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها[٩].

---

(١) رواه البخاري في اللباس (٥٩٠٧).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٤٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣٤٧).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٩٤٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والبيهقي في دلائل النبوة (٢١٦/١).

(٤) الجُمَّة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين، والوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

(٥) رواه أبو داود في الترجل (٤١٨٧)، والترمذي في اللباس (١٧٥٥)، وقال: حسن صحيح غريب. وفي رواية الترمذي: فوق الجُمة ودون الوَفْرة.

(٦) رواه ابن ماجه في اللباس (٣٦٣٠)، والترمذي في الشمائل (٤٠)، وصحَّحه الألباني بشواهده، في الصحيحة (٢٠٩٦).

(٧) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٧٧)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٩).

(٨) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، أحمد (٢٤٦٠١).

(٩) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقول أنس: كان أحسن النَّاس وأشجع الناس[١].

وأوصافه ﷺ، مع جانب من أفعاله وأقواله، هي الَّتي تكوِّن «شمائله» ﷺ الَّتي ألَّف فيها الإمام التِّرْمذي، واهتمَّ بها الشرَّاح وكُتَّاب السيرة النبويَّة.

سيرتُه ﷺ:

وتشمل السُنَّة ـ بالإضافة إلى قوله وفعله وتقريره وصفته ـ سيرته عليه السلام ممَّا لم يدخل في الأربعة المذكورة، ولو كان ذلك قبل البعثة.

ومن ذلك ما يتعلَّق بولادته ورضاعته، ونشأته وبعثته، وغير ذلك ممَّا لم يعرف عن طريق قوله عليه الصلاة والسلام، ومثل ذلك وفاته وتجهيزه ودفنه ﷺ بأبي هو وأمي.

ومن أمثلته حديث عائشة: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت كفلق الصبح[٢].

وحديث ابن عبَّاس الطويل في قصَّة هرقل وأبي سفيان[٣].

وحديث عبد الله بن بُسْر: كان له قصعة يقال لها: الغرَّاء. يحملها أربعة رجال[٤].

وحديث ابن عمر: كان له مؤذنان: بلال، وابن أمِّ مكتوم الأعمى[٥].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٢٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٧).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣).

(٤) رواه أبو داود في الأطعمة (٣٧٧٣)، وجوَّد إسناده النووي في رياض الصالحين (٧٤٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢١٠٥).

(٥) رواه مسلم في الصلاة (٣٨٠).

QaradawiBooks.com

وحديث عائشة: كانت وسادته الَّتي ينام عليها بالليل، من أَدَمٍ حَشْوُها لِيف[١].

وحديثها الآخر: إنْ كان ليمرُّ الهلال ثمَّ الهلال ثمَّ الهلال، ثلاثة أهلَّة في شهرين، وما يوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال عروة: فعلَام كنتم تعيشون يا خالة؟ قالت: إنَّما هما الأسودان: التمر والماء[٢].

فهذه الأحاديث وما شابهها لا تدخل في فعله وصفته عليه السلام إلَّا من باب الاتِّساع، ولكنها من سيرته، وسيرته جزء من سُنَّته ﷺ.

ولهذا كان في كتب الحديث مجال رحب لسيرته ﷺ من الميلاد إلى الوفاة، وخصوصًا بعد البعثة، وعلى الأخص بعد الهجرة، إذ هي المرحلة الَّتي تأسس فيها للإسلام مجتمع، وقامت له دولة تحكم بشريعته، وتجاهد في سبيله، وتبلغ دعوته للعالَمين.

السُّنَّة كلُّها حقٌّ لا مجال فيها لباطل:

وممَّا لا ريب فيه أنَّ سُنَّته ﷺ لا تشتمل على باطل قط، فقد عصم الله رسوله منه، سواء أكانت السُّنَّة قولًا، أم فعلًا، أم تقريرًا؛ لأنَّها كلَّها موضع القدوة والاتِّباع للناس، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٦)، ومسلم في اللباس (٢٠٨٢).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٦٧)، ومسلم في الزهد (٢٩٧٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وما كان الله ليضلَّ عباده، فيشرع الائتساء بالباطل، أو اتِّباع الضلال.

وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يكتب كلَّ شيء يسمعه منه ﷺ، فنهته قريش، وقالوا: تكتب كلَّ شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بَشَر، يتكلَّم في الغضب والرضا؟! فأمسك عن الكتاب وسأله عن ذلك، فأشار ﷺ إلى فيه، وقال: «**اكتبْ، فوالَّذي نَفْسي بيده ما يخرج منه إلَّا حقٌّ**»(١).

وإذا كان ﷺ لا يقول إلَّا حقًّا، فإنَّه لا يفعل إلَّا جميلًا، ولا يقرُّ إلَّا أمرًا مشروعًا، ولا يُتصوَّر أن يفعل أو يقرَّ حرامًا أو مكروهًا.

وأمَّا ما وقع من عتابه ﷺ على بعض الأمور، مثل قصَّة الأسرى، وقصَّة زينب ونحوها، فذلك لأنَّه فعل خلاف الأولى، فهو من باب «حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين».

ولا ريب أنَّ من السُّنَّة ما جاء عن طريق وحي الله إلى رسوله ﷺ، جليًّا أو خفيًّا، يقظة أو منامًا، كما في الحديث عن الله تعالى وملائكته وأنبيائه، وغير ذلك من شؤون الغيب، ومن ذلك الإخبار عن الله تعالى بأنه فرض كذا أو أحل كذا، أو حرَّم كذا، أو كرِه كذا، فهذا لا يكون إلَّا بوحي.

وفي بعض الأحاديث تصريح بذلك، مثل حديث عياض بن حمار: «**إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتَّى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»(٢).

(١) رواه أحمد (٦٥١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في العلم (٣٦٤٦)، وصحَّحه الألباني في الصحية (١٥٣٢).

(٢) رواه مسلم في صفة الجنة (٢٨٦٥)، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٩).

QaradawiBooks.com

ومثله حديث أبي أُمامة: «**إنَّ رُوح القُدُس نفث في رُوعي: إنَّ نفسًا لن تموت حتَّى تستكملَ أجلها، وتستوعب رزقها، فاتَّقوا الله وأَجمِلوا في الطلب**»[(١)].

وقد قال ﷺ: «**ألا إنِّي أُوتيتُ الكتاب ومثله معه**»[(٢)]. ولهذا سمَّى العلماء القرآن: الوحي المتلو، والسُّنَّة: الوحي غير المتلو.

ومن السُّنَّة ما ثبت باجتهاده ﷺ وإن خالف في ذلك بعض الأصوليين، بالنسبة للأحكام الشرعيَّة والأمور الدينيَّة. أمَّا الاجتهاد في مصالح الدنيا، وتدبير الحروب ونحوها، فهو ثابت إجماعًا.

واحتجَّ الجمهور، كما قال الشوكاني: «بأنَّ الله سبحانه خاطب نبيَّه كما خاطب عباده، وضرب له الأمثال، وأمره بالتدبر والاعتبار، وهو أجلِّ المتفكِّرين في آيات الله، وأعظم المعتبرين.

وإذا جاز لغيره من الأُمَّة أن يجتهد بالإجماع، مع كونه مُعَرَّضًا للخطأ، فلأن يجوز لمن هو معصوم عن الخطأ بالأولى.

وواقع ما رُوِيَ عنه يشهد أنَّه عليه الصلاة والسلام قد اجتهد في كثير من الأحوال والوقائع عن طريق القياس أو الاعتبار، أو رعاية المصالح وغيرها كقوله

---

(١) رواه الطبراني (١٦٦/٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٩٣): رواه الطبراني، وفيه عفير بن معدان، وهو ضعيف.

(٢) رواه أحمد (١٧١٧٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي في العلم (٢٦٦٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المقدمة (١٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣)، عن المقدام بن معديكرب.

QaradawiBooks.com

لبعض مَن سأله: «**أرأيتَ لو كان على أبيك دَيْن؟**»[١]، «**أرأيتَ لو تمضمضتَ؟**»[٢]، وقوله للعبَّاس: «**إلَّا الإذْخِر**»[٣]، ولم ينتظر الوحي في شيء من هذا، ولا في كثير ممَّا سُئِل عنه. على أنَّ عتَّاب الله له في أخذ الفداء من الأسرى ونحوه، يدلُّ دلالة ظاهرة على أنَّ ذلك وقع منه بالاجتهاد، ولو كان بالوحي لم يعاتبه. ومثل ذلك قوله: «**لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما سقت الهَدْي**»[٤]»[٥] اهـ.

وأمَّا احتمال خطئه فيما يجتهد فيه، فهو إذا حدَث فإنَّ الله تعالى لا يقرُّه على الخطأ، حتَّى لا يتبعه الناس عليه. ولا بد أن يُبيِّن له الصواب، وكيف لا، وقد أنزل الله قرآنًا يُتلى، إذا فعل ما يعتبر خلاف الأولى في حقِّه، فكيف إذا أخطأ؟

وقد صحَّ أنَّ رجلًا سأله: أرأيت إن قتلتُ في سبيل الله تكفر عنى خطاياي؟ فقال ﷺ: «**نعم، إن قُتِلْتَ في سبيل الله وأنت صابرٌ محتسِب، مُقْبِلٌ غير مدبر**». ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «**كيف قلتَ؟**». فأعاد الرجل

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤)، كلاهما في الحج، كما رواه النسائي في الحج (٢٦٣٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الصوم (٢٣٨٥)، والحاكم في الصوم (٤٣١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود على شرط مسلم (٢٠٦٤)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١١٢)، ومسلم في الحج (١٣٥٥)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٧٨٥)، ومسلم (١٢١٦)، كلاهما في الحج، عن جابر بن عبد الله.

(٥) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢١٨/٢ ـ ٢٢٠)، تحقيق أحمد عزو عناية، نشر دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

قوله: فقال ﷺ: «**نعم إنْ قُتِلْتَ وأنت صابرٌ مُحْتَسِب، مُقْبِلٌ غير مدبر، إلَّا الدَّيْن، فإنَّ جبرائيل قال لي ذلك**»[(١)]. فهذا الاستدراك منه عليه الصلاة والسلام، أسعفه به جبريل، تصحيحًا لما أجاب به السائل أولًا.

وأمَّا من نفى الاجتهاد، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٣، ٤]، فالمراد به هنا: القرآن، لأنَّهم كانوا يقولون: إنَّما يُعَلِّمه بشر، ولهذا أعقبه بقوله: ﴿**عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ**﴾ ولو سلَّمنا أنَّ المراد بالوحي هنا ليس القرآن وحده، لم يدل على نفي اجتهاده عليه السلام؛ لأن تعبده بالاجتهاد، جاء الإذن له به عن طريق الوحي أيضًا، فلم يكن نطقًا عن الهوى[(٢)].

* * *

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٥)، وأحمد (٢٢٥٨٥)، عن أبي قتادة الأنصاري.

(٢) إرشاد الفحول (٢/٢١٩).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

السُّنَّة من حيث أهميَّتُها وحُجِّيَّتُها

السُّنَّة: هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم.

فالقرآن هو الدستور الَّذي يحوي الأصول والقواعد الأساسية للإسلام: عقائده، وعباداته، وأخلاقه، ومعاملاته، وآدابه.

والسُّنَّة: هي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن في ذلك كله.

ولهذا يجب اتِّباعها والعمل بما جاءت به من أحكام وتوجيهات. وطاعة الرسول فيها واجبة. كما يُطاع فيما بلَّغه من آيات القرآن.

دَلَّ على ذلك القرآن.

ودَلَّت على ذلك السُّنَّة نفسها.

ودَلَّ على ذلك إجماع الأمة.

ودَلَّ على ذلك العقل والنظر.

نسخة مجانية

الدليل من القرآن:

فأمَّا القرآن: فقد أوجب على المسلمين طاعة الرسول بجوار طاعة الله. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩]، وجعل طاعته طاعة لله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]،

QaradawiBooks.com

وجعل ثمرة طاعته الاهتداء: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]. كما جعل ذلك في اتِّباعه: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وجعل اتِّباعه دليلًا على محبة الله ومغفرته: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. وأمرهم باتِّباعه فيما يأمر وينهى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وأمرهم بالاستجابة لدعوته، واعتبر ما يدعوهم إليه هو الحياة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وحذَّر من مخالفة أمره: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وأوجب الرجوع إليه عند التنازع: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

ولم يجعل لمؤمن ولا مؤمنة خيارًا في قَبول حكمه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأقسم على نفي الإيمان عمَّن أعرض عن تحكيمه، أو لم يقبل حكمه راضيًا مُسَلِّمًا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وجعل قَبول حكمه أو التولِّي عنه المحك الَّذي يُميِّز الإيمان من النفاق: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

QaradawiBooks.com

ورغَّب في الاقتداء به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

الدليل من السُّنَّة:

وأمَّا السُّـنَّة، فقد دَلَّت الأحاديث الكثيرة على وجوب اتباعه ﷺ وطاعته:

ومـن ذلك ما رواه أبو هريرة أنَّه قال: «**كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنَّة إلَّا من أَبَى**».

قيل: ومَن يأبَى يا رسولَ الله؟ قال: «**مَن أطاعني دخل الجنَّة، ومَن عصاني فقد أبَى**»(١).

ومن ذلك ما رواه العِرْباضُ بن سَـارِيَة قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ موعظةً وَجِلَتْ منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسولَ الله، كأنَّها موعظة مُـوَدِّع! فأوصنا. قـال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسـمع والطاعة وإن تأمَّر عليكـم عبد، وإنَّه مَن يعش منكم فسـيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المَهْدِيِّين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدَثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة**»(٢).

فهو يوصيهم أن يرجعوا إلى السُّـنَّة عند كثـرة الاختلاف، لتجتمع كلمتهم، فلا تضلهم البدع، ولا تتفرَّق بهم السُّبُل.

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٠)، وأحمد (٨٧٢٨).

(٢) سبق تخريجه صـ١٣، وفيه: «عليكم بسنتي...».

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك، وصيته لهم في حجَّة الوداع، كما رواها ابن عباس، وقد ذكرناه من قبل: «**قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تَضِلُّوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه**»[١].

وممَّا ينبغي ذكره هنا: الأحاديث الَّتي حذَّرت من دعوى الاستغناء بالقرآن عن السُّنَّة، كما هو شأن قِلَّة من أهل الترف والاسترخاء، كشف النبي ﷺ النقاب عنهم من وراء الغيب، كأنَّه يشاهدهم رأي العين.

وذلك في قوله ﷺ: «**ألا إنِّي أوتيتُ الكتابَ ومثله معه، ألا إنِّي أوتيتُ القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانًا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه**»[٢]. ورواه التِّرْمذي من حديثه أيضًا بلفظ: «**ألا هل عسى رجلٌ يَبْلُغه الحديثُ عَنِّي وهو متَّكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتابُ الله، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه، وإنَّ ما حرَّم رسول الله ﷺ كما حرَّم الله**»[٣].

وقال ﷺ: «**لا أُلْفِيَنَّ أحدكم متَّكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري ممَّا أمرت به، أو نهيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه**»[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٧.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٢.

(٣) رواه الترمذي في العلم (٢٦٦٤)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٥٧).

(٤) رواه أحمد (٢٣٨٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٥)، والترمذي في العلم (٢٦٦٣)، وابن ماجه في المقدمة (١٣)، والحاكم في العلم (١٠٨/١) وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣)، عن أبي رافع.

QaradawiBooks.com

ولا غـــرو أن حثَّ على تبليغ السُـــنَّة، ونشـــرها، كما فـــي الحديث المشهور:

«**نضَّر اللهُ امرأً ســـمع منا حديثًا فحفظه حتَّى يُبَلِّغه غَيْرَه، فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه، ورُبَّ حاملِ فـقـهٍ ليس بفقيه**»[(١)].

وقال أيضًا: «**نضَّر الله امرأً سمع منَّا شيئًا فبلَّغه كما سمع، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع**»[(٢)].

وقال في حجَّة الوداع: «**ليبلِّغ الشـــاهدُ الغائب، فإنَّ الشاهد عسى أن يبلِّغ مَن هو أوعى له منه**»[(٣)].

وقد عرف الصحابة ﷺ في حياته ﷺ قيمة السُّنَّة، وأنَّها المرجع الثاني لهم بعد كتـــاب الله تعالى، وأقرَّهـــم على ذلك الرســـول الكريم، كما في حديث معاذ المشهور: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا بعثه إلى اليمن، قال له: «**ماذا تصنع إن عَرَضَ لك قضاء؟**». قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: «**فإن لم يكن في كتاب الله؟**». قال: فبسُنَّة رسول الله. قال: «**فإن لم يكن في سُنَّة رسول الله؟**». قال: أجتهد رأيي ولا آلو. قال معاذ: فضرب رســولُ الله ﷺ صدري وقال: «**الحمد لله الَّذي وفَّقَ رسولَ رسولِ الله لِمَا يُرْضِي رسولَ الله**»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٩٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وقال: حســـن. كلاهما في العلم، وابن ماجه فـــي المقدمة (٢٣٠)، وصحَّحـــه الألباني في الصحيحة (٤٠٤)، عن زيد بن ثابت.

(٢) رواه أحمد (٤١٥٧)، وقال مخرِّجـــوه: صحيح. والترمذي في العلم (٢٦٥٧)، وقال: حســـن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٢٣٢)، عن ابن مسعود.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٤) رواه أحمد (٢٢٠٠٧)، وقال مخرِّجوه: إســـناده ضعيف؛ لإبهام أصحـــاب معاذ، وجهالة الحارث بن عمرو. وأبو داود في الأقضية (٣٥٩٢)، والترمذي في الأحكام (١٣٢٨)، وقال: =

QaradawiBooks.com

إجماع الصحابة والأُمَّة من بعدهم:

وقد أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على الرجوع إلى السُّنَّة، واعتبارها مصدرًا للأحكام الشرعيَّة مع القرآن، ومضى على ذلك الخلفاء الراشدون، ومَن بعدهم، قولًا وعملًا.

روى عَبْد بن حُمَيْد، والنَّسائي، وابن ماجه، وابن حِبَّان، والبيهقي: أنَّ خالد بن أَسِيد قال لعبد الله بن عمر: إنَّا نجد صلاة الحضر، وصلاة الخوف، ولا نجد صلاة السفر في القرآن؟! فقال له (ابن عمر): يا ابنَ أخي، إنَّ الله بعث إلينا محمدًا ﷺ ولا نعلم شيئًا، فإنَّما نفعل كما رأينا رسولُ الله ﷺ يفعل، وقصر الصلاة في السفر سُنَّة سَنَّها رسول الله ﷺ [1].

= هذا حديث لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل. قال الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٩/١، ١٩٠): فإن اعترض المخالف بأن قال: لا يصح هذا الخبر، لأنَّه يروى عن أناس من أهل حمص لم يسموا فهم مجاهيل، فالجواب: أن قول الحارث بن عمرو، عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ، يدلُّ على شهرة الحديث، وكثرة رواته... على أنَّ أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم ـ وذكر أحاديث ـ وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد، لكن لما تلقتها الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها. وقال ابن القيم إعلام الموقعين (٢٠٢/١) نحو هذا ثم قال: كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى، ولا يعرف في أصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك. كيف شعبة حامل لواء هذا الحديث، وقد قال بعض أئمة الحديث: إذا رأيت شعبة في إسناد حديث فاشدُد يديك به. وجوَّد إسناده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٦٤/١٣)، وابن كثير في التفسير (٧/١).

(١) رواه أحمد (٥٦٨٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. والنسائي في تقصير الصلاة (١٤٣٤)، وابن ماجه (١٠٦٦)، وابن حبان في الصلاة (١٤٥١)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والبيهقي في الصلاة (١٣٦/٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٧٤).

QaradawiBooks.com

وفي خلافة أبي بكر جاءت إحدى الجـدات ـ بعد موت حفيدها ـ تطلب نصيبها من تركتـه، فقال لها أبو بكر: ما أجـد لك في كتاب الله شـيئًا، وما علمتُ رسـول الله ﷺ ذكر لك شيئًا، ثمَّ سـأل الناس، فقام المغيرة بن شعبة، فقال: حضرتُ رسول الله ﷺ يُعطيها السُّدس. فقال: هل مـعـك أحـد؟ فشهد محمَّد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه أبو بكر رضي الله عنه [(١)].

وهكذا كانت طريقة أبي بكر وعمر فيما لم يوجد فيه حكم بيِّن في الكتاب، أن يحكما بالسُّـنَّة، إن علماها، فإن لم يكن لديهما سُـنَّة سألا المسـلمين. روى الدارمي والبيهقي عـن مَيْمُون بن مهـران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به، قضي به بينهم، وإنْ لم يجد في كتاب الله، نظر: هل كانت من النبي ﷺ فيه سُـنَّة؟ فإنْ علمها قضى بها، فإن لم يعلم خرج فسـأل المسـلمين فـقـال: أتاني كـذا، وكذا، فنظرتُ في كتاب الله، وفي سُنَّة رسول الله ﷺ فلم أجد في ذلك شيئًا، فهل تعلمون أنَّ النبيَّ ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟

فربما قام إليه الرهـط، فقالوا: نعم، قضى فيه بكـذا، وكذا، فيأخذ بقضاء رسـول الله ﷺ ويقول عند ذلك: الحمد لله! الَّـذي جعل فينا مَن يحفظ عن نبيِّنا.

وإنْ أعياه ذلك، دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم، فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيُهم على أمرٍ قضى به[(٢)].

(١) رواه أحمد (١٧٩٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٢٨٩٤)، والترمذي (٢١٠١)، وقال: حسـن صحيح. وابن ماجه (٢٧٢٤)، والنسـائي في الكبـرى (٦٣٠٥)، جميعهم في الفرائض، وضعَّفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٥٩٥)، عن قبيصة بن ذؤيب.

(٢) رواه الدارمي فـي المقدمة (١٦٣)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٤/١٠)، وإسـناده منقطع؛ ميمون بن مهران لم يدرك أبا بكر.

QaradawiBooks.com

وإنَّ عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك، فإنْ أعياه أن يجد شيئًا في الكتاب أو السُّنَّة نظر: هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإنْ وجده قضى به، فإن لم يجد دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم، فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به[١].

وكتب عمر إلى شُرَيْح لمَّا ولَّاه قضاء الكوفة: انظرْ ما تبيَّن لك من كتاب الله، فلا تسألْ عنه أحدًا، وما لم يتبيَّن لك فاتَّبع فيه سُنَّة رسول الله ﷺ، وما لم يتبيَّن لك من السُّنَّة فاجتهدْ رأيَك، واستشرْ أهلَ العلم والصلاح[٢].

وكذلك استمرَّ الصحابة ومَن تبعهم بإحسان، في الرجوع إلى السُّنَّة بعد القرآن لمعرفة ما تعبَّد الله به عباده من الحلال والحرام، وسائر الأحكام، في العبادات والمعاملات.

واستمرَّ من بعد الصحابة والتابعين فقهاء الأمصار، وأئمة المذاهب المتبوعة وأصحابهم وتلاميذهم، وغدت السُّنَّة للجميع المصدر الغني الخصب، في كل أبواب الفقه.

جُلُّ أحكام الفقه مرجعها السُّنَّة:

والحق الَّذي لا مِراء فيه: أنَّ جلَّ الأحكام ـ الَّتي يدور عليها الفقه في شتَّى المذاهب المعتَبَرة ـ قد ثبت بالسُّنَّة.

ومَن طالع كتب الفقه تبيَّن له ذلك بكلِّ جلاء! ولو حذفنا السُّنَن، وما تفرَّع عليها واستُنْبط منها من تراثنا الفقهي، ما بقي عندنا فقه يُذكر!

(١) رواه البيهقي في آداب القاضي (١١٤/١٠)، إسناده منقطع؛ ميمون بن مهران لم يدرك عمر.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/٢٣)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ولهذا كان مبحث «السُّـنَّة» ـ باعتبارها الدليـل التالي للقرآن ـ في جميع كتب أُصول الفقه، ولدى جميع المذاهـب المعتبَرة مبحثًا ضافيًا طويل الذيـول، يتنـاول حُجِّيَّتها وثبوتها وشـروط قَبولهـا، ودلالتها، وأقسامها، إلى غير ذلك ممَّا لا يخفى على الدارسين.

وهذا ـ كما قلتُ ـ ينطبق على جميع المذاهب، من مذهب داود وابن حزم الظاهري المنكرَيْـن للقياس والتعليل، إلـى أبي حنيفة وأصحابه الَّذين يُعرفون باسم «مدرسة الرأي» في تاريخ الفقه الإسلامي.

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

السُّنَّة عند مدرسةِ الرأي

أجل.. إنَّ مذهب أبي حنيفة ـ إمام أهـل الرأي ـ لم يُعرِض يومًا عن السُّنَّة، ولم يزل أئمته يستدلُّون بها ويبنون عليها أحكامهم، وكثير من مسائله إنَّما اعتمدت على الحديث والآثار، كما تشهد بذلك كتب المذهب الكثيرة.

وحسْبنا أنْ نتأمَّل كتابًا مثل «الهداية» للمرغيناني وشرحه «فتح القدير» لمحقِّق الحنفيَّة المجتهد كمال الدين بن الهُمام، لتجد ثروةً طائلة من الأحاديث.

هذا وقد خرَّج أحاديث «الهداية» الحافظ جمال الدين الزَّيْلعي (ت: ٧٦٢هـ) في كتابه الشهير «نصب الراية لأحاديث الهداية».

وهو يعتبر أحد أعظم كتب التخريج في تلك العصور.

وقد لخَّصه الحافظ ابن حجر ـ مع إضافة بعض الفوائد العلميَّة إليه ـ في كتابه الَّذي سمَّاه «الدراية في تخريج أحاديث الهداية».

ومن الكاتبين في عصرنا مَن زعموا أنَّ أبا حنيفة لم يصحَّ عنده إلَّا سبعة عشر حديثًا! ومعنى هذا أنَّ المذهب إنَّما يقوم على الرأي فعلًا، وينقلون ذلك عن ابن خلدون في «مقدّمته».

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

وهذا من خطف الكلام الَّذي جرى عليه كثيرون، ولـو رجعنـا إلى ما كتبـه ابن خلدون لوجدناه يذكر ذلك بصيغة التمريض، ولا يتبنَّاه، بل يذكر بعده ما يردُّ عليه وهـذه عبارته، قال في فصـل «علوم الحديث»: «واعلمْ أيضًا أنَّ الأئمَّة المجتهدين تفاوتـوا في الإكثار من هذه البضاعة والإقلال، فأبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قيل: إنَّه إنَّما بلغت روايته إلى سبعـة عشـر حديثًا أو نحوها (إلى خمسين)، ومالك رَحِمَهُ اللَّهُ إنَّما صحَّ عنده ما في كتاب «الموطَّأ» وغايتها ثلاثمائة حديـث أو نحوها، وأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في مسنده، ثلاثون ألف حديث، ولكلٍّ ما أدَّاه إليه اجتهاده في ذلك.

وقد يقول بعـض المتعصِّبين المتعسِّـفين: إنَّ منهم مَـن كان قليل البضاعة في الحديث ولهذا قلَّت روايته. ولا سبيل إلى هذا المعتقد في كبار الأئمَّة، لأنَّ الشريعة إنَّما تُؤْخذ من الكتاب والسُّنَّة، ومَن كان قليل البضاعة من الحديـث، فيعيَّن عليه طلبه وروايته، والجدُّ والتشـمير في ذلك، ليأخذ الدين عن أصول صحيحة، ويتلقَّـى الأحكام عن صاحبها المبلِّغ لها عن الله.

وإنَّما أقَلَّ منهم مَنْ أقَـلَّ الرواية، لأجل المطاعن الَّتي تعترضه فيها، والعلل الَّتي تعرض في طرقها، سـيما والجرح مُقدَّم عند الأكثر، فيؤدِّيه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بمـا يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسـانيد، ويكثر ذلك، فتقـلُّ روايته لضعف الطرق، هـذا مع أنَّ أهل الحجاز أكثر روايـة للحديث من أهل العـراق؛ لأنَّ المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة، ومَن انتقل منهم إلى العراق كان شغلهم بالجهاد أكثر، والإمام أبو حنيفة إنَّما قلَّت روايته لمَّا شدَّد في شروط الرواية والتحمُّل، وضعَّف الحديث إذا عارضه العقلي القطعي، فاستصعب وقلَّت من أجلها

QaradawiBooks.com

روايته، فقَلَّ حديثه، لا أنَّه ترك رواية الحديث متعمِّدًا، فحاشاه من ذلك، ويدلُّ على أنَّه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم، والتعويل عليه، واعتباره ردًّا وقبولًا، وأمَّا غيره من المحدِّثين وهم الجمهور فتوسَّعوا في الشروط وكثر حديثهم، والكل عن اجتهاد.

وقد توسَّع أصحابه من بعده في الشروط وكثرة روايتهم، روى الطحاوي فأكثر وكتب مسندَهُ، وهو جليل القَدْر، إلَّا أنَّه لا يعدل الصحيحين، لأنَّ الشروط الَّتي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيهما مجمع عليها بين الأُمَّة كما قالوه، وشروط الطحاوي غير متفَق عليها كالرواية عن المستور الحال وغيره»[1].

هذا ما قاله العلَّامة ابن خلدون عن أبي حنيفة ومذهبه، وهو كلام مؤرِّخ خبير منصف.

على أنَّ الإمام أبا جعفر الطحاوي ليس هو وحده حافظ الحنفية ومحدِّثهم، بل فيهم من كبار الحفَّاظ، وكبار المحدِّثين عدد كبير، ذكر منهم العلَّامة الشيخ محمَّد زاهد الكوثري رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدِّمته لكتاب «نصب الراية» مائة وبضعة من المحدِّثين.

وزاد عليهم العلامة محمَّد يوسف البنُّوري ثلاثة وثلاثين اسمًا من علماء الهند وحدها، وزاد عليها سبعة أخرى صديقنا العلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة، حين نشر هذه المقدّمة في كتاب مستقلٍّ تحت عنوان «فقه أهل العراق وحديثهم».

(١) مقدمة ابن خلدون (٣/١١٤٣ ـ ١١٤٥)، تحقيق دكتور علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي، ط٢.

QaradawiBooks.com

وقال العلامة الكوثري في كتابه «تأنيب الخطيب»: ما عند أبي حنيفة من أحاديث الأحكام المروية في المسانيد من غير تكرير للمتن، ولا سرد للطرق عن حديث واحد، مقدارٌ عظيم، لا يستقلُّه مَن يعلم مقدار ما عند مالك والشـــافعي من أحاديث الأحكام، مع ملاحظة ما لم يأخذا به من مرويَّات أنفسهما[١].

وقال الحسن بن زياد: كان أبو حنيفة يروي أربعة آلاف حديث: ألفين لحمَّاد (شيخه) وألفين لسائر المشيخة[٢].

وهذا هو المعقول والموافق لطبائع الأمور في ذلك الزمن وتلك البيئة العلميَّة واللائق بمنصب الاجتهاد المطلق المستقل المعترف به من الجميع للإمام أبي حنيفة.

فأبو حنيفة خرِّيج مدرسة الكوفة الفقهيَّة، الَّتي أسَّسها الصحابي الفقيه الجليل عبد الله بن مســـعود، وتخَرَّج فيهـــا عمالقة كبار، من أمثال علقمة والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع، ومَنْ في طبقتهم حتَّى إنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمَّا انتقل إلى الكوفة سُرَّ من كثرة فقهائها، وقال: رَحِم الله ابن أُمِّ عبدٍ (يعني ابن مســـعود) قد ملأ هذه القرية علمًا[٣].

---

(١) تأنيب الخطيب للكوثري صـ ٢٣٨، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ١٩٩٨م.

(٢) ذكره الموفق المكي في مناقب أبي حنيفة (٩٦/١)، نشر مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٢١هـ، وانظر: مقدمة الكوثري لنصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي (٤٠/١)، نشـــر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

(٣) انظر: المبسوط للسرخسي (٦٨/١٦)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

ولا ريب أنَّ أصحاب ابن مسعود ومن بعده عليّ ﷺ وبجوارهما من أجلَّاء الصحابة مثل سعد بن أبي وقَّاص، وحُذَيفة، وعمَّار، وسلمان، وأبي موسى ممَّن سكنوا الكوفة ـ كانوا يجمعون بين الحديث والفقه، أو بين الرواية والرأي، كما كان الصحابة أنفسهم.

وتلت هؤلاء طبقة لم يدركوا ابن مسعود ولا عليًّا، ولكنهم تفقهوا على أصحابهما وجمعوا علوم الأمصار إلى علومهم، مثل سعيد بن جبير الَّذي جمع علم حَبْر الأمة عبد الله بن عبَّاس إلى علمه.

ومن هذه الطبقة وارث علم «المدرسة المسعوديَّة» التابعي الجليل إبراهيم بن يزيد النَّخَعي (ت: ٩٥هـ) الَّذي جمع بين الفقه والرواية.

ففي فقهه يقول الإمام الشَّعْبِيُّ يوم مات: دفنتم أفقه الناس[١]!

وفي روايته يقول الأعمش أحد كبار الحفَّاظ الثقات: ما عرضتُ على إبراهيم حديثًا قط، إلَّا وجدتُ عنده منه شيئًا[٢].

ويقول: كان إبراهيم صيرفي الحديث، فكنتُ إذا سمعتُ الحديث من بعض أصحابنا عرضته عليه[٣].

وقال إبراهيم: لا يستقيم رأي إلَّا برواية، ولا رواية إلَّا برأي[٤].

وعلى إبراهيم، تخرَّج حمَّاد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة، وقد قيل لإبراهيم: مَنْ نسأل بعدك؟ فقال: حمَّادًا[٥]. وتُوُفِّي حمَّاد سنة ١٢٠هـ.

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/٢٢٠)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٢) المصدر السابق (٤/٢٢١).

(٣) المصدر السابق (٤/٢١٩).

(٤) المصدر السابق (٤/٢٢٥).

(٥) رواه ابن الجعد في مسنده (٣٣٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وبحمَّاد تفقَّه أبو حنيفة، وورث علمه، وعلم إبراهيم، وعلم مدرسة الكوفة[١]، وأضاف إليها ما خصَّه الله به من جودة الفهم، وسرعة الجواب، والقُدرة على الاستنباط والقياس والترجيح.

* * *

(١) يراجع في هذا: فقه أهل العراق وحديثهم للعلامة الكوثري صـ ٤٠ وما بعدها، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ط١، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

جميعُ الفقهاء يحتكمون إلى السُّنَّة

ونستطيع أن نؤكد هنا جازمين: أنَّ جميع فقهاء المسلمين، من مختلف المدارس، وشتَّى الأمصار، ممَّن له مذهب باق أو منقرض، متبوع أو غير متبوع، كانوا يرون الأخذ بالسُّـنَّة، والاحتكام إليها، والرجوع إلى حكمها إذا تبيَّنت لهم، جزءًا من دين الله ولا يسـعهم الخلاف عن أمرها. يستوي في ذلك المنتمي إلى مدرسة الرأي، والمنتمي إلى مدرسة الحديث.

أخرج البيهقي عن عثمان بن عمر قال: جاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة فقال له: قال رسولُ الله ﷺ كذا وكذا. فقال الرجل: أرأيت؟! فقال مالك: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣][(١)].

وأخرج عن ابن وهب قال: قال مالك: لم يكن من فتيا النَّاس أن يُقال لهم: لِمَ قلتَ هذا؟ كانوا يكتفون بالرواية ويرضون بها[(٢)].

وأخرج عن يحيى بن ضُرَيْس قال: شـهدتُ سفيان وأتاه رجل فقال: ما تنقم على أبي حنيفة؟ قال: وما له؟ قد سمعته يقول: آخذ بكتاب الله،

(١) رواه البيهقي في المدخل إلى السُّنن (٢٣٦)، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
(٢) المصدر السابق (٢٣٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فإنْ لم أجد فبسُنَّة رسولِ الله ﷺ، فإن لم أجدْ في كتاب الله ولا سُنَّة رسوله أخذتُ بقول أصحابه، آخذ بقول مَن شئت منهم وأدع قول مَن شئت منهم، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وابن المسيَّب ـ وعدَّد رجالًا ـ فقوم اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا[١].

وأخرج عن الرَّبِيع قال: روى الشافعي يومًا حديثًا فقال له رجلٌ: أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: متى ما رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به، فأشهدكم أنَّ عقلي قد ذهب[٢]!

وأخرج عن الربيع قال: سمعتُ الشافعيَّ يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سُنَّة رسول الله ﷺ فقولوا بسُنَّة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت[٣].

أعذار أئمَّة الفقه في عدم العمل بسُنَّة معينة:

وبناء على هذا الأساس المتَّفق عليه، لا يُتصوَّر أن يكون هناك مذهب فقهي، أو إمام مجتهد، يتعمَّد في فقهه ترك حديث صحيح الثبوت، صريح الدلالة على الحكم، لا معارض له. والمراد: صحته عنده هو، وصراحة الدلالة على الحكم عنده هو، لا عند غيره.

وهذا ما عنى ببيانه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الوجيز القيِّم «رفع الملام عن الأئمَّة الأعلام» الَّذي دافع فيه عن أئمَّة الفقه، أمام بعض الحرفيين أو المتعجِّلين، الَّذين اتَّهموهم بمخالفة الحديث وترك السُنَّة.

(١) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن (٢٤٥).
(٢) المصدر السابق (٢٥٠).
(٣) المصدر السابق (٢٤٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد ذكر في مقدمة كتابه أنَّه يجب على المسلمين ـ بعد موالاة الله تعالى ورسوله ﷺ ـ موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصًا العلماء الَّذين هم ورثة الأنبياء، الَّذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يُهتَدى بها في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.. فإنَّهم خلفاء الرسول في أمته والمحيون لما مات من سُنَّته. بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا. قال: «وليُعلم أنَّه ليس أحد من الأئمَّة ـ المقبولين عند الأُمَّة قَبولًا عامًّا ـ يتعمَّد مخالفة رسول الله ﷺ، في شيء من سُنَّته، دقيق ولا جليل.

فإنَّهم مُتَّفِقون اتفاقًا يقينيًّا على وجوب اتباع الرسول ﷺ، وعلى أنَّ كل أحد من الناس يُؤخذ من قوله ويُترك، إلَّا رسول الله ﷺ. ولكن إذا وُجِدَ لواحد منهم قول، قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بدَّ له من عذر في تركه.

وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أنَّ النبيَّ ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أنَّ ذلك الحكم منسوخ.

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة.

السبب الأول:

ألَّا يكون الحديث قد بلغه، ومَن لم يبلغه الحديث، لم يُكلَّف أن يكون عالمًا بموجبه، وإذا لم يكن قد بلغه ـ وقد قال في تلك القضيَّة

QaradawiBooks.com

بموجب ظاهر آيــة، أو حديث آخر، أو بموجــب قياس، أو موجب استصحاب ـ فقد يوافق ذلك الحديث تارة، ويخالفه أخرى.

وهذا الســبب: هو الغالب على أكثــر ما يوجَد من أقوال السَّــلَف، مخالفًا لبعض الأحاديث.

فإنَّ الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ، لم تكن لأحد من الأئمَّة.

ولا يقولنَّ قائل: إنَّ الأحاديث قد دُوِّنت وجُمِعت، فخفاؤها والحال هذه بعيد؛ لأنَّ هذه الدواوين المشــهورة في السُّــنَن، إنَّما جُمِعت بعد انقراض الأئمَّة المتبوعين رحمهم الله.

ومع هــذا، فلا يجــوز أن يُدَّعَى انحصار حديث رســول الله ﷺ في دواوين معينة.

ثم لو فُرِض انحصار حديث رســول الله ﷺ فيهــا، فليس كل ما في الكتب يعلمه العالِــم، ولا يكاد ذلك يحصل لأحد، بــل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة، وهو لا يحيط بما فيها.

بل الَّذين كانــوا قبل جمع هــذه الدواوين، كانوا أعلم بالسُّــنَّة من المتأخرين بكثير؛ لأنَّ كثيرًا ممَّا بلغهــم، وصَحَّ عندهم، قد لا يبلغنا إلَّا عن مجهول أو بإسناد منقطع، أو لا يبلغنا بالكليَّة.

فكانت دواوينهم، صدورهم الَّتي تحــوي أضعاف ما في الدواوين، وهــذا أمــر لا يشكُّ فيه مَن علم القضيَّة.

ولا يقول قائل: مَن لم يعــرف الأحاديث كلَّها لم يكن مجتهدًا، لأنَّه إنْ اشتُرِط في المجتهد علمه بجميع ما قاله النبي ﷺ وفعله، فيما يتعلق بالأحكام، فليس في الأمَّة على هذا مجتهد، وإنَّما غاية العالِم: أن يعلم

QaradawiBooks.com

جمهور ذلك ومعظمه، بحيث لا يخفى عليه إلَّا القليل من التفصيل، ثمَّ إنَّه قد يخالف ذلك القليل من التفصيل الَّذي يبلغه.

السبب الثاني:

أن يكون الحديث قد بلغه، لكنَّه لم يثبت عنده.

إمَّا لأن مُحدِّثه، أو مُحدِّث محدِّثه، أو غيره من رجال الإسناد: مجهول عنده، أو متهم، أو سيئ الحفظ.

وإمَّا لأنَّه لم يبلغه مسنَدًا، بل منقطعًا، أو لم يضبط لفظ الحديث، مع أنَّ ذلك الحديث، قد رواه الثقات لغيره بإسناد متصل.

ولهذا وُجِدَ في كلام غير واحد من الأئمَّة تعليق القول بموجب الحديث على صحته فيقول: قولي في هذه المسألة كذا، وقد رُوِيَ فيها حديث بكذا، فإن كان صحيحًا، فهو قولي.

السبب الثالث:

اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره، مع قطع النظر عن طريق آخر، سواء أكان الصواب معه، أو مع غيره، أو معهما، عند مَن يقول: كل مجتهد مصيب.

منها: أن يكون المحدِّث بالحديث يعتقده أحدهما ضعيفًا، ويعتقده الآخر ثقة. ومعرفة الرجال علم واسع.

ومنها: ألَّا يعتقد أنَّ المحدِّث سمع الحديث ممَّن حدَّثَ عنه، وغيره يعتقد أنَّه سمعه، لأسباب توجب ذلك معروفة.

ومنها، ومنها، ومنها، إلى آخر ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ.

QaradawiBooks.com

السبب الرابع:

اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ: شـــروطًا يخالفه فيها غيره. مثل اشتراط بعضهم عرض الحديث على الكتاب والسُّنَّة.

واشتراط بعضهم أن يكون المُحدِّث فقيهًا إذا خالف قياس الأصول.

واشـــتراط بعضهم: انتشـــار الحديث وظهوره إذا كان فيمـــا تعمُّ به البلوى، إلى غير ذلك، ممَّا هو معروف في مواضعه.

السبب الخامس:

أن يكون الحديث قد بلغه، وثبت عنده، ولكن نسيه.

وهذا يرد في الكتاب والسُّنَّة.

السبب السادس:

عدم معرفته بدلالة الحديث؛ تارة لكون الَّذي في لفظ الحديث غريبًا عنده، كالحديث المرفوع: «**لا طلاقَ ولا عتاقَ فـــي إغلاق**»[1]. فإنَّهم قد فسَّروا «الإغلاق» بالإكراه، ومَنْ يخالفه لا يعرف هذا التفسير.

وتارة لكون معناه في لغته وعُرفـــه، غير معناه في لغة النبيِّ ﷺ وهو يحمله على ما يفهمه في لغته، بناءً على أنَّ الأصل بقاء اللغة.

وتارة لكون اللفظ مشتركًا أو مجملًا، أو مُتردِّدًا بين حقيقة ومجاز، فيحمله على الأقرب عنده، وإن كان المراد هو الآخر.

---

(١) رواه أحمد (٢٦٣٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦)، كلاهما في الطلاق، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (١٦٦٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وتارة لكون الدلالة مـــن النص خفيَّة، فإنَّ جهـــات دلالات الأقوال واسعة جدًّا يتفاوت الناس في إدراكها.

غير مرخصة للطباعة

السبب السابع:

اعتقاده أنْ لا دلالة في الحديث.

والفرق بين هذا، وبين الَّذي قبله، أنَّ الأول لم يعرف جهة الدلالة.

والثاني: عرف جهة الدلالة، لكن اعتقد أنَّها ليست صحيحة، بأن يكون له من الأصول ما يرد تلك الدلالة، سواء أكانت في نفس الأمر صوابًا أو خطأً.

مثل: أن يعتقد أنَّ العام المخصوص ليس بحُجَّة، أو أنَّ المفهوم ليس بحُجَّة، أو أنَّ العموم الوارد على سبب، مقصور على سببه، أو أنَّ الأمر المُجرَّد لا يقتضي الوجـــوب أو لا يقتضي الفور، أو أنَّ المعرَّف بالألف واللام لا عموم لـــه، أو أنَّ الأفعال المنفيَّة لا تنفـــي ذواتها، ولا جميع أحكامها، أو أنَّ المقتضى لا عموم له، فلا يدَّعي العموم في المضمرات والمعاني، إلى غير ذلك ممَّا يتَّسع القول فيه.

السبب الثامن:

اعتقاده: أنَّ تلك الدلالة قد عارضها ما دَلَّ على أنَّها ليســـت مرادة.. مثل: معارضة العام بخاص، أو المطلق بمقيَّد، أو الأمر المطلق بما ينفي الـوجـوب، أو الحقيقة بما يدلُّ على المجـــاز، إلى أنواع المعارضات، وهو باب واسع أيضًا.

فإنَّ تعارض دلالات الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، بحر خضمّ.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

السبب التاسع:

اعتقاده: أنَّ الحديث معــارَض بما يدل على ضعفه، أو نســخه، أو تأويله إنْ كان قابلًا للتأويل، بما يصلح أن يكون معارضًا بالاتِّفاق. مثل آيـة أو حديث آخـر، أو مثل إجماع.

السبب العاشر:

معارضته بما يدلُّ على ضعفه، أو نسخه، أو تأويله، مـمَّـا لا يعتقده غـيـره، أو جنســه معارضًــا، أو لا يكون في الحقيقــة معارضًا راجحًا، كمعارضة كثير من الكوفيين الحديث الصحيح بظاهر القرآن.

واعتقادهم: أنَّ ظاهر القــرآن، من العموم ونحــوه، مُقدَّم على نصِّ الحديث. ثمَّ قد يعتقــد ما ليس بظاهر ظاهرًا، لما فــي دلالة القول من الوجوه الكثيرة.

ولهذا ردُّوا حديث الشاهد واليمين[1]. وإن كان غيرهم يعلم: أن ليس في ظاهر القرآن ما يمنع الحكم بشاهد ويمين، ولو كان فيه ذلك، فالسُّنَّة هي المفسِّرة للقرآن عندهم».

ثم قال ابن تيمية: «فهذه الأســباب العشــرة ظاهــرة، وفي كثير من الأحاديث يجوز أن يكون للعالِم حُجَّة في ترك العمل بالحديث لم نطلع نحن عليها، فإنَّ مدارك العلم واسعة، ولم نطلع نحن على جميع ما في بواطن العلماء.

(١) رواه مســلم في الأقضية (١٧١٢)، وأحمــد (٢٩٦٧)، وأبو داود في الأقضيــة (٣٦٠٨)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

والعالِم قد يبــدي حُجَّته وقد لا يبديها، وإذا أبداهــا فقد تبلغنا وقد لا تبلغنا، وإذا بلغتنا فقد ندرك موضع احتجاجه، وقد لا ندركه، ســواء أكانت الحُجَّة صوابًا في نفس الأمر أم لا»[١] اهـ.

ومن الأسباب الَّتي يمكن ذكرها هنا: أن تكون السُّنَّة الَّتي تركها الفقيه لم يقصد بها التَّشــريع في نظره، كبعض الأفعــال النبويَّة، الَّتي صدرت منه ﷺ على ســبيل الجِبلَّة أو العادة، أو لم يقصد بها التشريع العام. بل صدرت منه عليه الصلاة والسلام، بوصف الإمامة ورياســة الدولة أو القضاء، لا بوصف الفتوى والتبليغ عن الله تعالى. كما قالوا في قوله ﷺ: «**مَن أحيا أرضًا ميتة فهي له**»[٢]. وقوله: «**مَن قتل قتيلاً فله ســلبه**»[٣]... وغير ذلك ممَّا اختلف فيه الفقهاء في حكمه، بناء على الاختلاف في تحديد جهته[٤] ممَّا يحتاج إلى بحثٍ خاصٍّ قد نعود له في مناسبة أخرى[٥].

وهو ما يمكن إدخاله تحت دلالات الحديث، والاختلاف فيها.

* * *

(١) انظر في هذا: رفع الملام عن الأئمة الأعلام صـ ٣٥، نشــر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) رواه أبو داود فــي الخراج (٣٠٧٣)، والترمذي في الأحكام (١٣٧٨)، وقال: حســن غريب. وصحَّحه إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٧٦٦/٦)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (١٥٥١)، عن سعيد بن زيد.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٤٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥١)، عن أبي قتادة. وسلبه: سلاحه وثيابه التي عليه.

(٤) راجع في ذلك: حجة الله البالغة للدهلوي، والإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام للقرافي، والإسلام عقيدة وشريعة لشلتوت.

(٥) انظر كتاب: السُّنَّة مصدرًا للمعرفة والحضارة، في القسم الأول: عن الجانب التشريعي في السُّنَّة، وبيان ما كان منها للتشريع، وما ليس للتشريع، وما كان للتشــريع العام، وللتشريع الخاص، أو للتشريع الدائم وللتشريع العارض. وحاولت أن أقف هنا الموقف الوسط بين الغلاة والمفرّطين.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

السُّنَّة مصدر لتوجيه السلوك

وليس الفقهاء وحدهم هم الَّذين اعتمدوا على السُّنَّة، واعتبروها المصدر الثاني للتشريع واستنباط الأحكام.

فكلُّ علماء الأمة اعتمدوها كذلك، فالصوفيَّة اعتمدوها مصدرًا للتوجيه، كما اعتمدها الفقهاء مصدرًا للتشريع.

وإذا كان بعض الصوفيَّة قد نُقِلَ عنهم كلمات تُزهِّد في عِلم السُّنَّة، أو في العلم كله، وتُشعر بالاستغناء عنه. مثل قول بعضهم: إذا رأيت الصوفي يشتغل بـ «أخبرنا» و«حدَّثنا» فاغسلْ يدك منه.

وقول الآخر، وقد قيل له: ألَّا ترحل حتَّى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق، مَن يسمع من الخلَّاق؟!

وقول غيره: أنتم تأخذون علمَكُم عن حيٍّ يموت، ونحن نأخذ علمنا من الحيِّ الَّذي لا يموت!

يعني أنَّهم يأخذونه ـ بطريق الكشف ـ عن الله مباشرة، كما قال مَن قال منهم: حدَّثني قلبي عن ربِّي!

نسخة تجريبية

فهذه الكلمات وأمثالها لا تُعبِّر عن جميعهم، ولا عن جمهورهم، ولا عن محقِّقيهم، وأحسنُ ما يُعتذر به عن قائلها ـ كما قال العلَّامة ابن القيِّم ـ أن يكون جاهلًا يُعذر، أو شاطحًا معترفًا بشطحه[١].

الصوفيَّة الأوَّلون ملتزمون باتِّباع السُّنَّة:

ولا غرو أنْ وجدنا من سادات الصوفيَّة مَن أنكر على المنحرفين هذه الدعاوى العريضة الَّتي زعموا فيها الاستغناء عن علم الكتاب والسُّنَّة.

ونذكر هنا بعض ما نقل ابن القيِّم في «مدارج السالكين» عن المعتدلين من أكابر شيوخهم، قال سيِّد الطائفة وشيخهم الجُنَيْد بن محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلَّا على مَن اقتفى آثار الرسول ﷺ[٢].

وقال: مَن لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث، لا يُقتدى به في هذا الأمر، لأنَّ علمنا مقيَّد بالكتاب والسُّنَّة[٣].

وقال: مذهبنا هذا مقيَّد بأصول الكتاب والسُّنَّة[٤].

وقال أبو حفص رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسُّنَّة، ولم يتَّهم خواطره. فلا يُعدُّ في ديوان الرجال[٥].

---

(١) مدارج السالكين (٤٦٨/٢)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٥٧/١٠).

(٣) المصدر السابق (٢٥٥/١٠).

(٤) رواه القشيري في رسالته (٧٩/١)، تحقيق د. عبد الحليم محمود، ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٠/١٠).

غير مرخصة للطباعة
نسخة جانبية
QaradawiBooks.com

وقال أبو سليمان الدَّارَاني رَحِمَهُ اللَّهُ: ربَّما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيامًا فلا أقبل منه إلَّا بشاهدين عَدْلين: الكتاب، والسُّنَّة[١].

وقال أبو يزيد: عملتُ في المجاهدة ثلاثين سنة. فما وجدتُ شيئًا أشد عليّ من العلم ومتابعته[٢].

وقال مرَّة لخادمه: قمْ بنا إلى هذا الرجل الَّذي قد شهر نفسه بالصلاح لنزوره، فلمَّا دخلا عليه المسجد تنخَّع، ثمَّ رمى بها نحو القِبلة، فرجع ولم يُسلِّم عليه، وقال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونًا على ما يدَّعيه؟

وقال: لقد هممتُ أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة النساء.. ثمَّ قلت: كيف يجوز لي أن أسأل الله هذا، ولم يسأله رسول الله ﷺ ولم أسأله، ثمَّ إنَّ الله كفاني مؤنة النساء، حتَّى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط[٣].

وقال: لو نظرتم إلى رجل أُعْطِي من الكرامات إلى أن يرتفع في الهواء، فلا تقتدوا به، حتَّى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة[٤].

وقال أحمد بن أبي الحواري رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن عمل عملًا بلا اتِّباع سُنَّة، فباطل عمله[٥].

---

(١) رواه القشيري في رسالته (٦١/١).
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦/١٠).
(٣) رواه القشيري في رسالته (٥٧/١، ٥٨).
(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤٠/١٠).
(٥) رواه القشيري في رسالته (٦٨/١)، وانظر: مدارج السالكين (٤٣٥/٢).

QaradawiBooks.com

وإنَّما يُؤْخذ على الصوفيَّة هنا: رواج الأحاديث الضعيفة والمنكرة عندهم، بل كثيرًا ما تدخل عليهم الأحاديث الموضوعة والتي لا أصل لها، لقلة بضاعتهم في علم الحديث، وتمييز صحيحه عن سقيمه.

وهذا أمر اشتركوا فيه ـ إلى حدٍّ ما ـ مع الطوائف الأخرى من أهل العلم، حتَّى إنَّ كتب الفقهاء أنفسهم لم تسلم من ذلك. كما تشهد بذلك كتب التخريج مثل «التحقيق» و«التنقيح» و«نصب الراية» و«التلخيص الحبير» وغيرها.

ومهمَّة أهل العلم بالحديث أن يغربلوا كتب القوم، ويميِّزوا المقبول منها من المردود، وبخاصة الموضوع، وما لا أصل له، فإنَّ الضعيف ـ بشروطه ـ قد يُقبل في مجال الرقائق والمواعظ ونحوها، على ما ارتآه الكثيرون من العلماء.

وهذا ما فعله الحافظ زين الدين العراقي بخصوص كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، فقد خرَّج أحاديثه في كتابين: كبير ـ ولم يُنشر بعد ـ وصغير وهو «المغني عن حمل الأسفار» المنشور مع «الإحياء» في حاشيته، ولا ريب أنَّه خدم الكتاب خدمة جليلة.

كما يؤخذ على بعض الصوفيَّة دعواهم تصحيح الحديث بطريق الكشف والإلهام، وإن ضعَّف أئمَّة الحديث سنده، أو قالوا: لا أصل له، أو: حديث موضوع، كما قال مَن قال منهم في «الحديث القدسي»: «كنتُ كنزًا خفيًّا، فأحببتُ أن أعرف، فخلقتُ الخلق ليعرفوني»[1]: صحَّ عندنا كشفًا، وإن لم يصح سندًا!

(١) كان يغنيه عن هذا قول الله تعالى في آخر سورة الطلاق: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] فجعل الغاية من خلق الخلق: أن يعرفوه بأسمائه وصفاته.

QaradawiBooks.com

فهذا كلام مردود بإجماع علماء الأُمَّــة، لأنَّ المعايير الَّتي وضعوها لقَبول الحديث أو ردِّه معاييرُ موضوعيَّة، تتعلَّق بسند الحديث ومتنه، أمَّا «الكشف» فهو معيار شــخصي محض، لا تُؤمَنُ سلامته عند الصَّادقين، فكيف بالمُدَّعين؟! ولو فُتِحَ هذا الباب لشرَّع الناس في الدين ما لم يأذن به الله، وأحَلُّوا ما حَرَّم الله، أو حَرَّموا ما أحَلَّ الله، بدعوى الكشف.

وقد قال الإمام محمَّد بن ســيرين من فقهاء التابعين: الإســناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء[١]!

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: لم تُضمن لنا العصمةُ في الكشف، إنَّما ضُمنت لنا العصمة في الكتاب والسُّنَّة[٢].

* * *

(١) رواه مسلم في المقدمة (١٥/١).

(٢) مجموع الفتاوي (٢٢٦/٢)، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، السعودية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

السُّنَّة ترسم المنهاج التفصيلي للحياة الإسلاميَّة

والسُّـنَّة بما تضمَّنته من أقوال وأفعال وتقريرات وصفات للنبي ﷺ ترسم المنهاج التفصيلي للحياة الإسلاميَّة: حياة الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة، في الدولة المسلمة.

وإذا كان القـرآن الكريم يضـعُ القواعد العامة، والمبـادئ الكليَّة، ويرسـم الإطار العام، ويحدِّد بعض النماذج لأحكام جزئيَّة لا بدَّ منها، فإنَّ السُّنَّة تفصِّل ما أجمله القرآن الكريم، وتُبيِّن ما أبهمه، وتضع الصور التطبيقية لتوجيهاته.

فالقرآن بمنزلة الدسـتور، والسُّـنَّة بمنزلة القوانيـن والمذكرات التفسيريَّة المُبيِّنة.

ومن هنا نجد في السُّـنَّة تفصيلات الإيمان بـالله تعالى، وملائكته وكتبه، ورسله واليوم الآخر، والقَدَر خيره وشره.

والحياة البرزخيَّة ممَّا يتعرَّض له المكلَّفون بعد الموت في قبورهم، من سؤال وامتحان، ونعيم أو عذاب، وأهوال البعث والنشور، والموقف في الشـفاعة العظمى، والحسـاب الإلٰهي، وما يتبعه من أخذ الصحف ونشر الدواوين، ونصب الموازين، وإقامة الصراط، وما أعَدَّ الله في الجنة

QaradawiBooks.com

لمن أطاعه، ممَّا لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بَشر، وما أعَدَّ في النار لمَنْ عصاه، من ألوان العذاب الحسِّـي والمعنوي، كل هذا ما فصَّلته السُنَّة حتَّى كأنَّه رأْيَ عين.

ولا يختلف المسلمون في الاستدلال بالسُنَّة الثابتة عن رسول الله ﷺ في مثل هذه الغيبيَّات أو «السمعيَّات» ونحوها من شؤون العقيدة.

فكلُّ مسلم صَحَّ عنده حديث عن المعصوم الَّذي لا ينطق عن الهوى اعتقد بمضمونه ولا بدَّ، سواء أكان موضوعه العقيدة أم العمل.

إنَّما الخلاف فـي أُصول العقائـد الَّتي يطالب كل مَـن يدخل في الإسـلام أن يؤمن بها والتي يُحكم على منكرها بالكفر، فهذه لا بدَّ أن تثبتَ بنصٍّ قطعي الثبوت، كالقرآن والسُـنَّة المتواتـرة، قطعيّ الدلالة، لا يحتمل التأويل.

ولهذا لم يُكفِّر جمهور أهل السُنَّة المعتزلة والخوارج، وغيرهما من الفرق، رغم إنكارها لبعض المعتقدات الثابتة بأحاديث صحيحة عن أهل السُنَّة، وإن حكموا عليهم بالابتداع والانحراف عن منهج الصحابة ومَن تبعهم بإحسان.

ونجد في السُـنَّة تفصيلات العبادات الشـعائريَّة، الَّتي تمثل جوهر التديُّن العملي، كالعبادات الأربع: الصـلاة، والزكاة، والصيام، والحجِّ، سواء ما كان منها فرضًا لازمًا كالصلوات الخمس اليوميَّة، وصلاة الجمعة من كلِّ أسبوع، والزكاة المفروضة كلَّ حول أو كلَّ حصاد، وصوم رمضان من كلِّ عام، وحج البيت مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلًا.. وما كان منها من باب التطوع.

QaradawiBooks.com

فإذا نظرنا إلى فريضة كالصلاة، نجد السُّـنَّة حافلـة بكتبها وأبوابها الجَمَّة، مـن مقدِّماتها: الطهـارة والوضوء، والغُسـل والتيمُّم ومسـح الخُفَّين... ولواحقها: الأذان والإقامة والجماعة والإمامة. وبيان مواقيتها وأعدادها وكيفيَّتها، وأركانها وسـننها ومُبْطلاتها. وبيان أنواعها ممَّا هو فرض، وما هو نفل مؤكد كالسُّـنَن الرواتب، والوتـر، وما ليس كذلك كقيام الليل وصلاة الضحـى، وما يُصلَّى في جماعـة وما ليس كذلك، وما يُؤدَّى مرة أو مرتين في السُّـنَّة كصلاة العيدين، وما يُؤدَّى بأسـباب عادية كالكسوف والاستسقاء، أو خاصة كالاستخارة.

وإذا جئنا إلى الزكاة نجد بيـان الأموال الَّتي تجب فيها، ونُصبها ومقادير الواجب في كل منها، ومتى تجب، ولمن تجب؟

ومثل ذلك يقال في الصيام والحج والعُمرة، فالسُّنَّة هي الَّتي فصَّلت أحكامها تفصيلًا.

وهذه العبادات قد احتلت من كتب السُّـنَّة حيِّزًا كبيرًا، حتَّى إنَّها في كتاب مثل «الجامع الصحيح للبخاري» تقدَّر بنحو الرُّبع.

فإذا أضفنا إليها ما يتعلق بـالأذكار والدعوات وتلاوة القرآن ـ وهي لا شـك جزء من العبادات ـ تبيَّن لنا مقدار احتفال السُّنَّة بها، وقد ختم البخاري جامعه بحديث منها[1].

ونجد في السُّنَّة توجيهات مفصَّلة للأخلاق الإسلاميَّة، الَّتي بعث الله رسـوله ليتمِّمها وهي تشـمل الأخلاق الإنسـانيَّة الَّتي لا تقوم الحياة

(١) هو حديث: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». رواه البخاري في التوحيد (٧٥٦٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الفاضلة إلَّا بها، وقد اعتبرتها السُّـنَّة من شُـعَب الإيمـان، ومن فضائل المؤمنين، كما اعتبـرت أضدادها من آيات النفـاق، ورذائل المنافقين. وذلك كالصِّدق والأمانة، والسَّـخاء والشجاعة، والوفاء والحياء، والرِّفق والرحمة، والعدل والإحسان، والتواضع والصبر، والحِلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة، وبرِّ الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الجار، ورعاية اليتيم والمسكين وابن السبيل.

كما تشمل ما نُسمِّيه «الأخلاق الربانيَّة» الَّتي هي قوام الحياة الروحية كمحبَّة الله تعالى، والإنابة إليـه، والتوكُّل عليه، والإخلاص له، والرجاء في رحمته، والخشـية من عذابه، والرضا بقضائـه، والصبر على بلائه، والشـكر لنعمائه، والحب فيه، والبغض فيه، ومـوالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، والورع عن المحارم، والزهد فيما عند الناس، والرغبة فيما عند الله... إلى غير ذلك من الأخلاق والمقامات الَّتي عُني بها الصَّادقون من رجال التصوُّف، حتَّى قالـوا: التصوُّف هو الخُلُق، فمـن زاد عليك في الخُلُق، فقد زاد عليك في التصوُّف.

ونجد في السُّـنَّة كذلك تفصيلات الآداب الإسـلاميَّة، الَّتي تتَّصل بالحياة اليوميَّة للإنسان المسلم، ويتكوَّن منها الذوق المشترك، والأدب المشترك للأُمَّة الإسلاميَّة.

وذلك مثـل أدب الأكل والشـرب، والجلوس والمشـي، والتحيَّة والسلام، والزيارة والاستئذان، والنوم واليقظة، واللباس والزينة، والكلام والصمت، والاجتماع والافتراق.

فالمسلم عندما يأكل أو يشرب يُسمِّي الله تعالى، ويأكل بيمينه، ويشرب بيمينه، ويأكل ممَّا يليه، ويقتصد في أكله، ويحمد الله إذا فرغ من طعامه.

QaradawiBooks.com

وهكذا نجد السُّنَّة النبويَّة تضع للمسلم مجموعةً مفصَّلة من الآداب المُحدَّدة في سلوكه اليومي، تنشأ منها تقاليد مشتركة، تميِّز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات، كما تجعل للفرد المسلم شخصية مستقلة متميزة في مظهرها ومَخْبَرها تستعصي على الذوبان في غيرها[1].

ونجد في السُّنَّة كذلك تفصيلات لتكوين الحياة الأسريَّة على أساس مكين، وتنظيم علاقاتها، وضبط سيرها، وحمايتها من عوامل التفكُّك والانهيار، والتوجيه إلى الوسائل اللازمة للمحافظة عليها، وما يلزم كلا الطرفين عند تعذُّر الوفاق، ووقوع الطلاق، فنجد في السُّنَّة عناية بالغة بحُسن اختيار الزوج أو الزوجة، والخِطبة وأحكامها، والزواج وآدابه، وحقوق الزوجة على زوجها، والزوج على زوجته، وأحكام الطلاق والرجعة، والعدَّة والإيلاء، والظهار والنفقات، وحقّ الأولاد على والديهم، وحقّ الوالدين على أولادهم، وحق ذوي القُربى من المحارم والعصبات... إلى غير ذلك ممَّا يقوم عليه «فقه الأسرة» أو ما يسمَّى «الأحوال الشخصيَّة» و«الشريعة الإسلاميَّة».

ونجد في السُّنَّة كذلك أحكامًا وفيرة تتعلَّق بالمعاملات والعلاقات الاجتماعيَّة بين المسلمين بعضهم وبعض، مثل أحكام البيع والشراء، والهبة والقرض، والمشاركة والمضارَبة، والإجارة والإعارة، والكفالة

(١) للمسلم النمساوي المهتدي للإسلام محمد أسد في كتابه: الإسلام على مفترق الطريق، فصل قيم، بيَّن فيه قيمة السُّنَّة في الحياة الإسلامية وأثرها في نفسية المسلم وتميز الأمة، من خلال منطق علمي رصين. وهو بذلك يرد على أدعياء التحرر، الذين يقولون اليوم: ما قيمة أن يأكل الإنسان باليمين أم بالشمال، وأن يقدِّم الرجل اليمنى أم اليسرى، إلخ؟! هداهم الله. انظر: الإسلام على مفترق الطرق صـ ٩٧ وما بعدها، نشر ترجمة عمر فروخ، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٥١م.

QaradawiBooks.com

والحوالة، والرهن والشفعة، والوقف والوصية، والحدود والقصاص والشهادات، وغيرها، ممَّا استند إليه فقه «المعاملات».

ومنها ما ينظِّم العلاقة بين الحكام والمحكومين، في الشؤون الإداريَّة والمالية والقضائية وغيرها، ممَّا استمدت منه كتب «السياسة الشرعيَّة» وكتب «الأموال» و«الخراج» ونحوها.

ومنها ما يُنظِّم العلاقة بين الدولة الإسلاميَّة وغيرها، ويرسم الإطار لعلاقة المسلمين بغير المسلمين في السِّلم وفي الحرب. وهذا ما يقوم عليه فقه «السير» أو «الجهاد».

وقد عُني ببيان أسرار السُنَّة في هذه الجوانب كلها حكيم الإسلام في الهند أحمد ابن عبد الرحيم، المعروف باسم شاه ولي الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ) في كتابه الفريد «حُجَّة الله البالغة»[1].

* * *

(١) من أهم الكتب التي ينبغي أن تُخدم وتُحقَّق، وتخرَّج أحاديثه، وتُجلى غوامضه.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

اختلاف مدى تفصيل السُّنَّة باختلاف موضوعاتها

وتفصيل السُّنَّة في تلك الجوانب الَّتي ذكرناها ليس في درجة واحدة، فالعبادات ليست كالمعاملات، وشؤون الأسرة ليست كشؤون الدولة.

فالأمور الَّتي لها طابع الثبات والدوام، وتتعلق بجوهر الحياة البَشريَّة كالعبادات والأخلاق والآداب، وشؤون الأسرة. كان التفصيل فيها أكثر، حتَّى لا تعبث بها الأهواء وتصبح في مهب رياح التغيير في كل حين.

والأمور الَّتي لها طابع التَّغيير والمرونة ـ كالشؤون الإدارية والسياسية والقضائية والإجرائية ونحوها، كان التفصيل فيها أقل، ومنطقة الفراغ فيها أكبر، حتَّى لا يُلزم الناس فيها بصور وأوضاع قد تضيق عليهم فيما وسع الله فيه، ولم يجعل عليهم فيه من حَرج، وهذه هي المنطقة الَّتي سمَّاها النبي ﷺ «العفو» وفيها جاء الحديث: «**ما أحَلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حَرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفوٌ، فاقبلوا من الله عافيته، فإنَّ الله لم يكن لِيَنْسى شيئًا**». وتلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (١).

* * *

(١) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والدارقطني في الزكاة (١٢)، والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في المجمع (١١١٦٠): رجاله ثقات. وصحَّحه السيوطي في الجامع الصغير (٣٨٥٨)، والألباني في الصحيحة (٢٢٥٦)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

علاقة السُّنَّة بالقرآن

القرآنُ الكريم هو أساس الشريعة وعمدتها، والسُّنَّة هي مُبيِّنتُهُ وشارحته. ولهذا اعتُبِرت المصدر الثاني للإسلام. فرتبتُها تلي مرتبة القرآن، لأنَّ مرتبة البيان بعد مرتبة المُبيَّن، ولأنَّ القرآن كلَّه ثبت بالتواتر اليقيني الَّذي لا ريب فيه، بخلاف السُّنَّة، فبعضها ثبت بالتواتر، ومعظمها ثبت بالآحاد.

وقد دَلَّ حديث معاذ، وعملُ الخلفاء الراشدين، على أنَّ الحكم الشرعي يُطْلَب في القرآن أولًا، فإن لم يوجَد فيه طُلِب في السُّنَّة.

وهذا إنَّما يكون في الأحكام الواضحة الدلالة في القرآن، كميراث الزوج من زوجته، والمرأة من زوجها، وعدَّة الطلاق للآيسة والصغيرة، وعدَّة المتوفَّى عنها زوجها غير الحامل ونحوها. وما لم يكن كذلك فالمُعوّل على السُّنَّة، فهي المُبيِّنة والمُفصِّلة للأحكام، كميراث الجدة والعصبات، وعدَّة الحامل المتوفَّى عنها زوجها، ونحوها.

والناظر فيما حفلت به كتب السُّنَّة يجده على ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم مُؤكِّد ومُؤيِّد لما جاء به القرآن، دون أن يضيف إليه تفصيلًا أو بيانًا، مثل الأحاديث الَّتي جاءت تدعو إلى بر الوالدين، وتُحذِّر من عقوقهما، وتدعو إلى صلة الرحم، وتُحذِّر من قطعها،

وتدعو إلى إكرام الجار، وتُحذِّر من إيذائه، فإنها ليست أكثر من تقرير وتأكيد لما جاء في القرآن.

وكثير من أحاديث الترغيب والترهيب والمواعظ والقصص تدخل في هذا القسم..

٢ ـ قسم مُبيِّن للقرآن، إما بتفصيل ما أجمله، أو تخصيص ما عمَّمَه أو تقْييد ما أطلقه، ونحو ذلك.

فتفصيل المُجْمَل، مثل بيان عدد الصلوات كل يوم ومواقيتها، وعدد ركعاتها وكيفيَّة الصلاة وغير ذلك، ممَّا يعتبر بيانًا لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

ومثل ذلك: بيان أنصبة الزكاة وأموالها ومقادير الواجب فيها، ومتى تجب إلى غير ذلك، بيانًا لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

ومثل ذلك يقال في الصيام والحج والحدود، والبيع والرضاع وغيرها.

وتخصيص العام، مثل: قصر الورثة الَّذين ذكرهم الله في كتابه على غير القاتل بحديث: «**لا ميراثَ لقاتل**»[(١)].

وتقييد المطلق مثل تقييد الوصيَّة في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] بأن تكون في حدود الثلث: بحديث: «**الثلث، والثلث كثير**»[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي في الفرائض (٢١٠٩)، وقال: هذا حديث لا يصح لا يعرف إلَّا من هذا الوجه... والعمل على هذا عند أهل العلم. وابن ماجه في الديات (٢٦٤٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٣٦)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٧٤٢)، ومسلم (١٦٢٨)، كلاهما في الوصايا، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

٣ ـ وقسم دَلَّ على حكم سكت القرآن عنه، فلم ينفه، ولم يثبته، كحديث: «**تقضي الحائضُ الصومَ ولا تقضي الصلاة**»[١]، وتحريم الجمع بين المرأة وعمَّتها أو خالتها[٢]، وميراث الجدَّة والعَصَبة[٣]، وأحكام الشفعة[٤]، وأن «**يحرم من الرَّضاعِ ما يحرم من النَّسب**»[٥]، وتحريم لحم الحُمُر الأهليَّة[٦]، وكل ذي ناب من السِّبَاع، وكل ذي مخلب من الطير[٧]، وتحريم أواني الذهب والفضة على الرجال والنساء[٨]، وتحريم حليَة الذهب والحرير على الرجال خاصَّة[٩]، والنَّهي عن اتِّخاذ القبور

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: عن معاذة قالت: سألت عائشة فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة؟ قالت: كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة. رواه البخاري (٣٢١)، ومسلم (٣٣٥)، كلاهما في الحيض.

(٢) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «لا يُجْمَع بين المرأة وعمَّتها، ولا بين المرأة وخالتها». رواه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨)، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

(٣) إشارة إلى حديث: جاءت الجدة أم الأم، وأم الأب إلى أبي بكر، فقالت: إن ابن ابني، أو ابن بنتي مات... أنَّ رسول الله ﷺ: أعطاها السدس... سبق تخريجه صـ٦١.

(٤) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل ما لم يقسم. رواه البخاري في الشفعة (٢٢٥٧)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٨)، عن جابر بن عبد الله.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٤٥)، ومسلم في الرضاع (١٤٤٧)، عن عائشة.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٢٧)، ومسلم في الصيد والذبائح (١٩٣٩).

(٧) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٣٤)، وأحمد (٢١٩٢)، وأبو داود في الأطعمة (٣٨٠٥)، عن ابن عباس.

(٨) إشارة إلى الحديث الذي رواه الجماعة: «... ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة». رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٢٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٧)، عن حذيفة.

(٩) إشارة إلى حديث: إن نبي الله ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي». رواه أحمد (٩٣٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لشواهده. وأبو داود في اللباس (٤٠٥٧)، والنسائي في الزينة (٥١٤٤)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٨٠٦)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٣٩٤)، عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

مساجد[١]، ولعن الواشمة والمُستوشمة، والواصلة والمستوصلة، والنَّامصة والمتنمِّصة[٢]، وغير ذلك ممَّا وردت به الأحاديث الكثيرة في العبادات والمعاملات.

وهذا القسم الثالث لا يعارض القرآن بوجه ما، كما قال العلَّامة ابن القيِّم، وإنَّما هو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجبُ طاعته فيه، ولا تحلُّ معصيته، وليس هذا تقديمًا لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يُطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصَّة به، وإنَّه إذا لم تجب طاعته إلَّا فيما وافق القرآن، لا فيما زادَ عليه، لم يكن له طاعة خاصَّة تختصُّ به. وقد قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. ومن العلماء مَن لم يرَ هذا استقلالًا من السُّنَّة بالتشريع، بل ردَّه إلى القرآن بوجه من الوجوه، كالقياس على ما نصَّ عليه، أو الاندراج تحت قواعده، ونحو ذلك.

فتحريم الجمع بين المرأة وعمَّتها أو خالتها، إنَّما كان قياسًا على ما ذكره القرآن من تحريم الجمع بين الأختين.

وتوريث الجدَّة عند عدم الأم، قياس للجدة على الأم.

وتحريم سباع البهائم والطير، داخلٌ في قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(١) إشارة إلى حديث: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إنِّي أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٩٤٢)، ومسلم (٢١٢٤)، كلاهما في اللباس، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وتحريم أواني الذهب والفضَّة داخل فيما ذمَّه القرآن من التَّرف وعيش المترفين... وهكذا.

والمهم أنَّ الجميع متَّفقون على أنَّ من حقِّ السُّنَّة أن تُحلِّل وتُحرِّم وتُوجب وتُسقط. سواء سُمِّي ذلك استقلالًا بالتشريع، كما صرَّح بذلك بعضهم، أم لم يسمِّه استقلالًا، كما فعل آخرون[1].

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) انظر: السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي صـ ٣٨٥، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٣، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دعوى الاستغناء بالقرآن عن السُّنَّة

وبهذا كله يتضح لنا أنَّ ما زعمه بعض الناس من دعوى الاستغناء بالقرآن عن السُّنَّة، لأنَّ الله تعالى نزَّله: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] زعمٌ باطل ودعوى مردودة، يردُّها القرآن نفسه، لأنَّ ما بيَّنه القرآن أنَّ الرسول مبيِّن لما أنزل الله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، كما بيَّن أنَّ طاعة الرسول واجبة، لأنَّها من طاعة الله تعالى.

وتردُّها السُّنَّة والإجماع، كما بيَّنَّا ذلك من قبل، روى البيهقي بسنده عن أيُّوب السختياني: أنَّ رجلًا قال لمطرِّف بن عبد الله: لا تحدِّثونا إلَّا بما في القرآن. فقال مطرِّف: إنَّا والله ما نريد بالقُرْآن بَدَلًا، ولكنَّا نريد مَن هو أعلم بالقرآن منا ـ يريد رسول الله ﷺ.

وقال أيوب: إذا حدَّثتَ الرجل بسُنَّة، فقال: دعنا من هذا، وأنبئنا عن القرآن، فاعلم أنَّه ضال[(١)].

وقصارى القول ـ كما يقول المرحوم العلَّامة الداعية الدكتور مصطفى السباعي[(٢)]: إنَّ إنكار حجيَّة السُّنَّة والادِّعاء بأنَّ الإسلام هو القرآن وحده

(١) مفتاح الجنة للسيوطي صـ ٣٥، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي صـ ١٦٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا يقول به مسلم، يعرف دينَ الله وأحكامَ شريعته تمام المعرفة، وهو يصادم الواقع، فإنَّ أحكام الشريعة إنَّما ثبت أكثرها بالسُّنَّة، وما في القرآن من أحكام إنَّما هي مجملة وقواعد كليَّة في الغالب، وإلا فأين نجد في القرآن أنَّ الصلوات خمسة؟ وأين نجد ركعات الصلاة، ومقادير الزكاة وتفاصيل شعائر الحج وسائر أحكام المعاملات والعبادات؟

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونسأل قائل هذا القول الفاسد: في أيِّ قرآن وجد أنَّ الظهر أربع ركعات، وأنَّ المغرب ثلاث ركعات، وأنَّ الركوع على صفة كذا، والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة والسلام، وبيان ما يُجْتَنب في الصوم، وبيان كيفيَّة زكاة الذهب والفضة، والغنم والإبل والبقر، ومقدار الأعداد المأخوذة منها الزكاة، ومقدار الزكاة المأخوذة، وبيان أعمال الحجِّ من وقت الوقوف بعرفة، وصفة الصلاة بها وبمزدلفة، ورمي الجمار، وصفة الإحرام، وما يُجتنب فيه، وقطع يد السارق، وصفة الرضاع المحرِّم، وما يحرم من المأكل، وصفتا الذبائح والضحايا، وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، وبيان الربا، والأقضيَّة والتداعي، والأَيْمان والأحباس (يعني: الأوقاف) والعُمْرَى[1]، والصدقات، وسائر أنواع الفقه، وإنَّما في القرآن جمل لو تركنا وإياها لم ندر كيف نعمل فيها، وإنَّما المرجوع إليه في كل ذلك، النقل عن النبيِّ ﷺ، وكذلك الإجماع إنَّما هو على مسائل يسيرة فلا بدَّ من الرجوع

(١) قال ابن الأثير في النهاية مادة (ع. م. ر): تكرر ذكر العُمْرى والرُّقْبَى في الحديث. يقال: أعمرته الدار عمرى، أي: جعلتها له يسكنها مدة عمره، فإذا مات عادت إلي، وكذا كانوا يفعلون في الجاهلية، فأبطل ذلك وأعلمهم أنَّ من أعمر شيئًا أو أرقبه في حياته فهو لورثته من بعده. وقد تعاضدت الروايات على ذلك. والفقهاء فيها مختلفون، فمنهم من يعمل بظاهر الحديث ويجعلها تمليكًا، ومنهم من يجعلها كالعارية ويتأول الحديث.

QaradawiBooks.com

إلى الحديث ضرورة، ولو أنَّ أمرأً قال: لا نأخذ إلَّا ما وجدنا في القرآن، لكان كافرًا بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلَّا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر[١]، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حدَّ للأكثر في ذلك، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال، وإنَّما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ممَّن قد اجتمعت الأمة على كفرهم، ولو أنَّ أمرأً لا يأخذ إلَّا بما اجتمعت عليه الأمة فقط، وترك كل ما اختلفوا فيه ممَّا قد جاءت فيه النصوص، لكان فاسقًا بإجماع الأمة، فهاتان المقدمتان توجب بالضرورة الأخذ بالنقل»[٢].

* * *

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

(٢) الإحكام لابن حزم (٢/٧٩، ٨٠).

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

جهود المسلمين في حفظ السُّنَّة

- السُّنَّة من حيث توثيقها.
- الرحلة في طلب السُّنَّة.
- علم أُصول الحديث.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

السُّنَّة من حيث توثيقها

عرف المسلمون منذ عهد الصحابة ﷺ قيمة السُّنَّة ومنزلتَها التشريعيَّة والتوجيهيَّة في حياتهم، فحرصوا على حفظها وتبليغها، ونقلها بعضهم عن بعض، وقد حضَّهم النبي ﷺ على ذلك: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي، فوعاها، فبلَّغها كما سمعها، فرُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع**»[١].

وكانوا أول الأمر يعتمدون على «حفظ الصدور» فقد تميزوا بالحوافظ القويَّة، وتوارثوا هذا في رواية الشِّعر وغيره، نظرًا لقلة الكتابة عندهم، بالإضافة إلى الحافز الديني، الداعي إلى حسن الحفظ والوعي.

كما أنَّ النبي الكريم نفسه نهاهم في البداية عن كتابة ما سوى القرآن، كما روى ذلك أبو سعيد الخدري عنه[٢]. وكان ذلك مبالغة في توفير أسباب الحياطة للقرآن، حتَّى لا يختلط به شيء من غيره إذا فُتِحَ الباب على مصراعيه، لكل مَن يملك التمييز بين الكلامين ومَن لا يملكه. هذا إلى أنَّ الكتَبة كانوا قليلين، ومواد الكتابة كانت غير مُيسَّرة، فالأولى توجيه الجهد كله في هذه المرحلة لكتابة القرآن.

(١) سبق تخريجه صـ٥٩.

(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٤).

نسخة خاصة

ثم أذن لهم الرسول في الكتابة عنه، فكتب عبد الله بن عمرو صحيفته «الصادقة»[١]، وأذن لأبي شاه ـ رجل من اليمن ـ أن يكتب خطبتَه[٢].

وهو نفسه ﷺ كتب كتبًا كثيرة منها «الوثيقة» الشهيرة الَّتي تضمَّنت تحديد العلاقة بين سكان المدينة من الأنصار والمهاجرين، ومَن دخل في معاهدتهم من يهود.

وكذلك رسائله إلى كسرى، وقيصر والنجاشي والمقوقس... وغيرهم.

وما كتبه في بيان الصدقات، والديات والفرائض والسُّنَن لعمرو بن حزم.

وكتب أبو بكر رضي الله عنه لأنس بن مالك فرائض الصدقة الَّتي سَنَّها الرسول ﷺ.

وكتب عمر رضي الله عنه لعُتْبة بن فَرْقَد بعض السُّنَن، ووُجِدَ في جفنِ سيفه صحيفة فيها صدقة السوائم.

وكان عند عليّ رضي الله عنه صحيفة فيها بعض الأحكام.

وما ورد من نهي بعض الصحابة عن كتابة الحديث ـ ومنهم الخلفاء الثلاثة المذكورون ـ فإنَّما هو لشدَّة حرصهم على القرآن في أول الأمر، وخشيتهم أن ينشغل الناس عنه بالأحاديث، ويُضيِّعوا كتاب الله، كما صنعت أُمم قبلهم.

ثم اتفق الصحابة بعد ذلك على جواز الكتابة، كما رُوِيَ عن عائشة وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وابن عمرو، وأنس، والبَرَاء بن عازب، والحسن بن عليّ، ومعاوية وغيرهم.

(١) رواه الخطيب في تقيد العلم صـ ٨٤، نشر دار إحياء السُّنَّة النبويَّة، بيروت.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللقطة (٢٤٣٤)، ومسلم في الحج (١٣٥٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

واتَّسع بعد ذلك نطاق الكتابة حتَّى جاء عصر التدوين، فدُوِّنت كتب السُّنَّة بعضها على طريقة المسانيد، حيث تجمع الأحاديث الَّتي رواها كل صحابي على حِدة وإن اختلفت موضوعاتها، مثل مسند أبي داود الطيالسي (ت: ٢٠٣هـ) ومسند الحميدي (ت: ٢١٩هـ) ومسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) وغيرها. وبعضها على طريقة الجوامع والسُّنَن المُصنَّفة على الموضوعات والأبواب المعروفة من العقائد والعبادات والمعاملات والآداب والتفسير والسيرة والرقائق ونحوها.

من ذلك كتاب «الموطأ» الَّذي وضعه إمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) بطلب من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، والكتب الستَّة الَّتي اشتهرت بين المسلمين، وهي الصحيحان: صحيح الإمام محمَّد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) أصح كتاب بعد القرآن، وصحيح الإمام مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ) قرين البخاري في الصحة، وكتب السُّنَن الأربعة لأصحابها: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) وأبي عيسى محمَّد بن سورة التِّرْمذي (ت: ٢٧٩هـ) وأبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النَّسائي (ت: ٣٠٣هـ) وأبي عبد الله محمَّد بن يزيد الشهير بابن ماجه (ت: ٢٧٥هـ).

وقد عُني علماء الأمَّة بهذه الكتب الستة مع الموطأ: شرحًا لها، وتعليقًا عليها، وانتقاءً أو اختصارًا لها، وجمعًا لها، أو للزوائد عليها، وبحثًا في أسانيدها ومتونها.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرحلة في طلب السُّنَّة

ولم يعرف التاريخ أمَّة رحلت في طلب العلم مثل الأمَّة الإسلاميَّة، وبخاصَّة علماء الحديث فيها، الَّذين ضربوا أروع الأمثال في قطع الفيافي الواسعة على ظهور الإبل، أو مشيًا على الأقدام، بغية استماع حديث ممن يحفظه، أو من أعلى مصدر حي له.

وقد بدأ ذلك منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم.

فرحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أُنَيْس في الشام، واستغرق سفره شهرًا، ليستمع منه حديثًا واحدًا، لم يكن جابر قد سمعه من النبيِّ ﷺ[(١)]، ورحل أبو أيُّوب الأنصاري إلى عُقْبة بن عامر بمصر فلما لقيه قال: حدِّثنا ما سمعتَه من رسولِ الله ﷺ في ستر المسلم، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك. فلما حدَّثه ركب أبو أيُّوب راحلته وانصرف عائدًا إلى المدينة وما حَلَّ رحله[(٢)]!

(١) رواه أحمد (١٦٠٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والبخاري في الأدب المفرد في السلام والمصافحة (٩٧٠)، والحاكم في التفسير (٤٣٧/٢، ٤٣٨)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٣٦٩): رواه أحمد ورجاله وثقوا ورواه الطبراني في الأوسط بنحوه. وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٧٠).

(٢) رواه أحمد (١٧٤٥٤)، وقال مخرِّجوه: المرفوع منه صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. والخطيب في الرحلة في طلب الحديث (٣٤).

QaradawiBooks.com

ورحل رجل من الصحابة إلى فَضَالة بن عبيد بمصر، فلما قدم إليه قال له: أمَّا أنِّي لم آتك زائرًا وإنَّما أتيتك لحديث بلغني عن رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم[١]. وقال عبد الله بن مسعود: لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته[٢].

وتبيِّن هذه الوقائع أنَّ سبب رحلة الصحابة كانت لسماع حديث لم يسمعه الصحابي من رسول الله ﷺ، أو للتثبُّت من حديث يحفظه الصحابي وليس في بلده مَن يحفظه فيشد الرحال إلى مَن يحفظه ولو كان على مسيرة شهر.

وبعد الصحابة سار تلاميذهم من التابعين سيرتهم في الرحلة لطلب الحديث.

وربما زاد عليهم. فقد تفرَّق الصحابة في الأمصار يحملون معهم العلم، فما كان ليتيسر للرجل أن يحيط علمًا بحديث رسول الله ﷺ دون رحلة في الأمصار وملاحقة الصحابة المتفرقين فيها.

يقول سعيد بن المسيب (ت: ٩٤هـ) أحد كبار التابعين: إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام[٣].

ورحل الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) من البصرة إلى الكوفة في مسألة[٤]، وأقام أبو قلابة في المدينة ثلاثة أيام ما له حاجة إلّا رجل

(١) رواه أحمد (٢٣٩٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الترجل (٤١٦٠).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٠٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٦٣).
(٣) رواه الخطيب في الرحلة في طلب الحديث (٤٢)، تحقيق نور الدين عتر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ.
(٤) المصدر السابق (٥٢).

QaradawiBooks.com

كانوا يتوقعون قدومه كان يروي حديثًا، فأقام حتَّى قدم الرجل وسأله عن الحديث[١].

وحدَّث الشعبي رجلًا بحديث، ثمَّ قال له: أعطيناكها بغير شيء، وقد كان يُركب فيما دونها إلى المدينة[٢].

وعن أبي العالية الرياحي قال: كُنَّا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فلم نرض حتَّى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم[٣].

ففي جيل التابعين برز عامل جديد يحفز طلاب الحديث إلى الرحلة، ذلك هو طلب الإسناد العالي، فهو أخصر طرق الحديث المتصلة.

فبدل أن يأخذ التابعي عن تابعي، أخذ بدوره الحديث عن صحابي، يرحل إلى ذلك الصحابي فيروي الحديث عنه مباشرة[٤].

* * *

(١) رواه الخطيب في الرحلة في طلب الحديث (٥٣).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠١١)، ومسلم في الإيمان (١٥٤).

(٣) رواه الدارمي في المقدمة (٥٨٣).

(٤) انظر: بحوث في تاريخ السُّنَّة المشرفة للدكتور أكرم ضياء العمري صـ ٢١٣ ـ ٢١٥، نشر دار بساط، بيروت، ط ٤.

QaradawiBooks.com

علم أصول الحديث

ولا يَظُنَّنَّ ظَانٌّ أنَّ القوم كانوا يأخذون الحديث من كلِّ مَن قال: قال رسول الله ﷺ. فقد علموا أنَّ هناك مَن يكذب على رسول الله لدوافع شتَّى بيَّنوها في كتبهم، ولاحقوا الدجَّالين الوضَّاعين وكشفوا أمرَهم.

قيل للإمام عبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟! فقال: تعيش لها الجهابذة[١]!

أجل.. لقد قعَّد القوم قواعد، وأصَّلوا أصولًا، أصبحت علمًا شامخ الذرا، بل علومًا جمة، هي: «علوم الحديث».

ولقد عَدَّ منها ابن الصلاح في «مقدمته» المشهورة (٦٥) خمسة وستين علمًا أو نوعًا. ونقل ذلك عنه من بعده، كالنووي والعراقي وابن حجر، وزاد السيوطي في شرحه للتقريب للنووي أنواعًا أخرى فأوصلها إلى (٩٣) ثلاثة وتسعين نوعًا[٢].

(١) الموضوعات لابن الجوزي (٤٦/١) تحقيق عبد الرحمٰن عثمان، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، وشرح علل الترمذي لابن رجب (٤٧٧/١) تحقيق الدكتور همام سعيد، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٢) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (٣٨٦/٢ وما بعدها)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر دار الكتب الحديثة، ط٢، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

كانت أولى هذه القواعد: ألَّا يقبلوا حديثًا بلا إسناد، فلا يُقبل من أحد أن يقول: قال رسول الله ﷺ إلَّا أن يكون صحابيًّا، ممَّن رآه ﷺ وسمع منه[١].

وهؤلاء الصحابة عدول، عدَّلهم الله تعالى في كتابه، وأثنى عليهم في أكثر من سورة من قرآنه، كما في آخر سورة الفتح، وخصَّ بالثناء المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرِّضوان[٢]، كما عدَّلهم رسوله ﷺ في جملة من أحاديثه[٣].

وقد شهدت سيرتُهم بعدالتهم، وشهد لهم التاريخ: أنَّهم الَّذين حفظوا القرآن والسُّنَّة، ونقلوها إلى الأُمَّة، ونشروا دِينَ الله في أقطار الأرض، وكانوا أفضل جيل عرفته البَشريَّة إلى اليوم.

---

(١) انظر في تعريف الصحابي: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي صـ ٤٩ ـ ٥١، تحقيق أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة. ومقدِّمة ابن الصلاح صـ ٢٩١، النوع التاسع والثلاثين، تحقيق نور الدين عتر، نشر دار الفكر سوريا، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) انظر: الآية (٢٩) من سورة الفتح، والآية (١٠٠) من سورة التوبة، والآيتين (٨، ٩) من سورة الحشر، والآيتين (٥٨، ٥٩) من سورة الحج، والآية (١٨) من سورة الفتح.

(٣) وحسبنا منها الحديث المشهور: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». الحديث متَّفق عليه بألفاظ متقاربة عن ابن مسعود، رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٣). وعمران بن حصين، رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥). ورواه مسلم عن عائشة في فضائل الصحابة (٢٥٣٦)، وعن أبي هريرة في فضائل الصحابة (٢٥٣٤). والترمذي في الفتن (٢٢٢١)، والحاكم في معرفة الصحابة (٤٧١/٣)، عن عمران بن حصين. والطبراني (٢٨٥/٢)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٩١/٣)، عن جعدة بن هبيرة. ولذا قال السيوطي: يشبه أنَّ الحديث متواتر. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي (٤٧٨/٣، ٤٧٩)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م، وكذا صحيح الجامع الصغير وزيادته (الأحاديث ٣٢٨٣، ٣٢٨٨، ٣٢٨٩، ٣٢٩٠، ٣٢٩٦، ٣٣١٢)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

QaradawiBooks.com

ولم يحفظ التاريخ لأصحاب نبيٍّ من مواقف البذل، وروائع البطولة، ومكارم الأخلاق، ومقامات التقوى، ما حُفِظَ لأصحاب محمَّد ﷺ[١].

أمَّا مَنْ دون الصحابة، فلا بدَّ أن يسند الحديث إلى صحابي، ويُبيِّن عمَّن تلقَّاه من الرواة حتَّى يصل إلى الصحابي.

ولا بدَّ أن تتَّصل حلقات الرواة، بحيث يكون كلٌّ منهم قد أخذ مباشرة عمَّن روى عنه، ولا تُقبل هذه السلسلة من الرواة: إذا سقطت منها حلقة واحدة: في أولها، أو أوسطها، أو آخرها.

وهذه السلسلة المتَّصلة الحلقات من الرواة هي الَّتي سمَّاها علماء المسلمين: الإسناد، أو السند، وشدَّدوا فيه كلَّ التَّشديد، منذ عهد مبكر، وبالتحديد، منذ ذرَّ قرن الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه، وبرزت الأهواء والتَّحزُّبات.

وفي هذا يقول التابعي[٢] الجليل، الفقيه المُحدِّث الإمام محمَّد بن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلمَّا وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السُّنَّة فيُؤْخذ منهم، ويُنظر أهل البدع فيجتنب حديثهم[٣].

---

(١) يراجع في ذلك الكتب التي أُلِّفَتْ في الصحابة خاصة، مثل: الاستيعاب لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، وأسد الغابة لابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ)، والإصابة للحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، وأيضًا طبقات ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ). وانظر: تعديل الصحابة في الكفاية للخطيب صـ ٤٦ ـ ٤٩.

(٢) يُقصد بالتابعي: مَن تتلمذ على الصحابة وأخذ عنهم العلم. وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(٣) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١٥/١).

QaradawiBooks.com

وقال الإمام عبد الله بن المبارك (ت: ١٨١هـ): الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء[١].

وقال ابن سيرين وغيره: إنَّ هذه الأحاديث دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينَكُم[٢].

وفي بعض الروايات عن ابن سيرين: كان يقال: إنَّ هذه الأحاديث دين، إلخ. ومعنى العبارة أنَّ هذا القول كان شائعًا قبل ابن سيرين، أي في عصر الصحابة.

وممَّا لا يجهله أهل العلم الدارسون لتاريخ الأمم والأديان، أنَّ اشتراط الإسناد الصحيح المُتَّصل في نقل «العلم الديني» و«علم النبوَّة»، ممَّا تفرَّدت به أمَّة الإسلام عن سائر الأمم، كما ذكر ذلك ابن حزم وابن تيمية وغيرهما.

ولا يحسبنَّ القارئ البعيد عن الثقافة الإسلاميَّة أنَّهم كانوا يقبلون أيَّ إسناد يُذكر لهم، وأنَّ بوسع أيِّ واحدٍ أن يُركِّب لهم سلسلة من أسماء الثقات، إلى أن يصل إلى الصحابي الَّذي سمع من النبيِّ ﷺ فهم إنَّما يقبلون الإسناد إذا توافرت له جملة شروط لا بدَّ منها:

(أ) أن يكون كلُّ راوٍ من رواته «معلوم العين والحال» وبعبارة أخرى: معروف الشخصيَّة، معروف السيرة، فلا يُقبل سند فيه: حدثنا فلان عن رجل، أو شيخ من قبيلة كذا، أو عن الثقة ـ دون أن يذكر اسمه.

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١٥/١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٥/٢)، وقد ذكره بإسناده عن ابن سيرين وغيره، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

QaradawiBooks.com

ولا يُقبل سند فيه راو لا يُعرف مَن هو؟ وما بلده؟ ومَنْ شيوخه؟ ومَنْ تلاميذه؟ وأين عاش ومتى؟ وأين ومتى توفي؟ وهو الَّذي يسمونه «مجهول العين».

ولا يُقبل راوٍ عُرِف شخصه وعينه، ولم تُعرف حاله وصفته، بخير ولا شر، ولا إيجاب ولا سلب، وهو الَّذي يسمُّونه «مجهول الحال»، أو «المستور».

(ب) أن يكون موصوفًا بـ «العدالة»، ومعنى العدالة يتَّصل بدين الراوي وخُلُقه وأمانته فيما يروي وينقل، بحيث تنطق أقواله وأعماله أنَّه امرؤ يخشى الله تعالى، ويخاف حسابه، ولا يستبيح الكذب أو التزيد أو التحريف. وقد احتاطوا أشدَّ الاحتياط، فكانوا يردُّون الحديث لأقل شُبهة في السيرة الشخصية لناقله، أمَّا إذا علموا أنَّه كذب في شيء من كلامه فقد رفضوا روايته، وسموا حديثه «موضوعًا» أو «مكذوبًا» وإن لم يُعرف عنه الكذب في رواية الحديث. مع علمهم بأنه قد يصدق الكذوب. وقد فسَّروا «العدالة» بالسلامة من الفسق وخوارم المروءة.

ومن دلائل هذه العدالة: ألَّا يُرى عليه كبيرة، ولا يصر على صغيرة. وأكثر من ذلك أنَّهم اشترطوا مع التقوى «المروءة» وفسَّروها بأنها التَّنزُّه عن الدنايا وما يشين عند الناس، كالأكل في الطريق، أو المشي عاري الرأس في زمنهم.

فلم يكتفوا من الراوي أن يجتنبَ ما ينكره الشرع، بل أضافوا إليه ما يستقبحه العُرْف، وبهذا يكون إنسانًا مقبولًا عند الله وعند الناس.

QaradawiBooks.com

ولا يُقال: قد يتظاهر بعض الناس بالعدالة، ويتصنَّع المروءة، وفؤاده هواء، وباطنه خراب، فهو يقول ما لا يفعل، ويُسِرُّ ما لا يُعلن، شأن المنافقين الَّذين يخادعون الله والذين آمنوا.

فالواقع يقول: إنَّ الزيف لا بدَّ أن ينكشف، والنفاق لا بدَّ أن يفتضح، وقال عليّ رضي الله عنه: غشُّ القلوب، يظهر على صفحات الوجوه، وفلتات الألسنة[١]. وقد قال الشاعر:

ثوبُ الرِّيَاءِ يَشِفُّ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا اكْتَسَيْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارِ[٢]!

وقبله قال زُهَير في معلقته[٣]:

ومَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنَ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

(جـ) ولا يكون الراوي ثقة مقبولًا بمجرَّد اتِّصافه بالعدالة والتقوى، بل لا بدَّ أن ينضمَّ إلى العدالة والأمانة «الضبط».

فقد يكون الراوي من أتقى عباد الله، وأعلاهم في الورع والصلاح، ولكنَّه لا يضبط ما يرويه، بل يغلط فيه فيكثر الغلط، أو ينسى فيخلط حديثًا بحديث.

لهذا كان لا بدَّ من «الضبط»، سواء أكان ضبط صدر بقوَّة الحفظ، أو ضبط كتاب، بسلامة الكتاب والعناية به.

---

(١) صبح الأعشى (٢٦٧/٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) من شعر أبي الحسن التهامي. انظر: دمية القصر وعصرة أهل العصر (١٤٣/١)، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

(٣) انظر: شرح المعلقات التسع صـ ٢١٣، تحقيق عبد المجيد همو، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

وهم يشترطون هنا للحديث الصحيح أن يكون راويه في أعلى درجات الضبط والإتقان، حتَّى يُطْمأنَّ إلى حفظه وإجادته. ويعرفون ذلك بمقارنة رواياته بعضها ببعض، وبروايات غيره من الحفَّاظ الثقات.

وكثيرًا ما يكون الراوي ضابطًا حافظًا متقنًا، ولكنَّه يُعَمَّر، فتضعف ذاكرته، ويتشوَّش عليه حفظه، فيضعِّفونه بذلك، ويقولون: اختلط بآخره ـ أي آخر حياته، وقد يُصنِّفون الرواة عنه، بأمارات وأدلة مختلفة، فيقولون: هذا روى عنه قبل اختلاطه فيُقبل، وهذا روَى عنه بعد اختلاطه، أو لا يُعرف متى روَى عنه، فيُرَد.

(د) أن تكون حلقات السند كلها متَّصلة، متماسكة من مبدأ السند إلى منتهاه، فإذا سقطت حلقة في السلسلة في أولها أو أوسطها أو آخرها، كان الحديث ضعيفًا مردودًا، مهما تكن مكانة رجاله من العدالة والضبط، حتَّى إنَّ بعض أئمَّة التابعين الَّذين يُستسقى بهم الغيث، وتُضرب أكباد الإبل لطلب العلم منهم، مثل الحسن البصري، وعطاء، والزهري، وغيرهم، إذا قال: قال رسول الله، ولم يذكر الصحابي الَّذي سمع الحديث من رسول الله ﷺ لم يُقبل حديثه، لاحتمال أن يكون سمعه من تابعي آخر، وأن يكون التابعي سمعه من تابعي وهكذا... وإذا جُهِلت الواسطة لم يُقبل الحديث، وهذا يسمونه «المرسل» وإن كان بعض الفقهاء يقبله بشروط خاصة.

ومعنى هذا: أن يكون كل راوٍ تلقَّى الحديث عمَّن فوقه تلقِّيًا مباشرًا، بلا واسطة . ولا يجوز للراوي أن يحذف الواسطة، بناء على أنَّ المحذوف ثقةً عنده، فربما كان الموثَّق عنده مجروحًا عند غيره، بل إن مجرد حذف الواسطة يشكك في المحذوف.

QaradawiBooks.com

وإذا عُلِمَ من حال بعض الرواة المُعدَّلين، المقبولين في الجملة، أنَّه حذف في بعض المرات بعض الوسائط، وذكر لفظًا محتملًا مثل: «عن فلان» اعتبروه «تدليسًا» فلا يقبلون من حديثه إلَّا ما قال فيه: حدَّثني فلان، أو أخبرني فلان، أو سمعت، ونحوها. كما قالوا في مثل محمَّد بن إسحاق صاحب السيرة المعروف. أمَّا إذا قال: عن فلان، فحديثه ضعيف، لأن «عن» تحتمل التلقِّي بالواسطة، كما تحتمل الأخذ المباشر، ومجرد الاحتمال من مثله يضعِّف الحديث.

(هـ) ألَّا يكون الحديث شاذًّا. ومعنى الشذوذ عندهم: أن يرويه الثقة مخالفًا مَن هو أوثق منه، كأنْ يروي أحد الثقات الحديث بصيغة، أو زيادة معيَّنة، ثمَّ يرويه راو آخر أقوى منه وأوثق بغير هذه الصيغة، وغير هذه الزيادة.

وكذلك إذا رواه واحد بعبارة، ورواه اثنان أو جماعة غيره بعبارة مخالفة. فهنا يُقبل حديث مَنْ هو أوثق ويسمى عندهم «المحفوظ»، ويُرَد المخالف ويسمَّى «الشاذ» مع أنَّ راويه عندهم ثقة مقبول.

(و) ألَّا يشتمل الحديث على عِلَّة قادحة في سنده أو متنه.

وهذه إنَّما يعرفها أئمَّة هذا الشأن، ممَّن عايشوا الأحاديث، وخبروا الأسانيد والمتون، حتَّى إنَّ الحديث ليبدو في ظاهر الأمر مقبولًا، لا غبار عليه، فإذا نظر إليه هؤلاء الصيارفة الناقدون، سرعان ما يكتشفون فيه خللًا يوجب وهنه، ولهذا نشأ علم رحْبٌ يُسمَّى علم «العلل»[1].

(١) راجع في هذا: علل الحديث للدكتور همام عبد الرحيم سعيد، وهو دراسة منهجية في ضوء كتاب شرح علل الترمذي لابن رجب، نشر دار العدوي، عمان.

QaradawiBooks.com

ومن هنـــا نتبيَّن أنَّه لا مجـــال لما أوهمه بعـــض الغرباء عن هذا العلم، أنّ بإمكان بعض الناس أن يخترع إسنادًا صحيحًا بل في غاية الصحَّة، ويُركِّب عليه حديثًا يُحلِّل ويُحرِّم، أو يُوجب ويُسقط ما شاء، ثمَّ يأتي به إلى الفقهاء، أو رجال الحديث، فيقبلوه منه على عواهنه، فهذا كلام امرئ مغرق في الخيال، بل في الجهل المُركَّب لأنَّه جاهل، ويعتقد أنَّه عالِم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

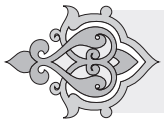

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤٣	٩٢
﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾	١٥١	١٦
﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾	١٨٠	٩٢
﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾	٢٦٩	١٦
سورة آل عمران		
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾	٣١، ٣٢	٤، ٥٠، ٥٦
﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	١٣٧	١٤
﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾	١٦٤	١٦
سورة النساء		
﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾	٢٩	٤٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾	٥٩	٤، ٥٥، ٥٦
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾	٦٥	٥٦
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾	٨٠	٥٥، ٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾	١٥٧	٩٤
﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	١٥٨	٥٦
سورة الأنفال		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾	٢٤	٥٦
سورة التوبة		
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾	١٠٠	١٠٩
سورة النحل		
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٤٤	٤، ٩٦
﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾	٨٩	٩٦
﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	١٦
سورة مريم		
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٦٤	٩٠
سورة النور		
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾	٥١	٤، ٥٦
﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾	٥٤	٥٦
﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٦٣	٥٦، ٧٠
سورة الأحزاب		
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾	٢١	٤، ٥٠، ٥٧

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾	٣٦	٥٦
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	٣٨	١٤
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	٦٢	١٤
سورة فاطر		
﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	١٤
سورة غافر		
﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾	٨٥	١١
سورة النجم		
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾	٣، ٤	٥٤
﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾	٥	٥٤
سورة الحشر		
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾	٧	٤، ٥٦
سورة الطلاق		
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾	١٢	٨٢
سورة الجن		
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾	٢٦، ٢٧	٢٢
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	١	٣٦

❊ ❊ ❊

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

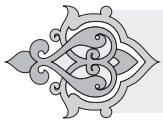

غير مرخص للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتْبع السيِّئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالق الناسَ بخُلق حسن	٢٨
الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك	٢٦
إذا ضُيِّعَت الأمانةُ فانتظرِ الساعة. قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظرِ الساعة	٣١
أذن لأبي شاه أن يكتب خطبتَه	١٠٢
أرأيتَ لو تمضمضتَ	٥٣
أرأيتَ لو كان على أبيك دَيْن	٥٣
الإسلام: أن تعبد الله ولا تُشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة	٢٦
أعوذ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق	٢٩
اكتبْ، فوالَّذي نَفْسي بيده ما يخرج منه إلَّا حقٌّ	٥١
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	٣٠
ألا إنِّي أُوتيتُ الكتاب ومثله معه	٥، ٥٢، ٥٨
ألا هل عسى رجلٌ يَبْلُغه الحديثُ عَنِّي وهو متَّكئ على أريكته	٥٨
اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عصمة أمري، وأصلحْ لي دنياي الَّتي فيها معاشي	٢٩

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهم إنِّي أعوذُ بك أن أزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَضِلَّ، أو أُضَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَم	٢٩
اللَّهم قني عذابَكَ يومَ تبعث عبادَك	٣٧
اللَّهمَّ هل بلَّغت؟. فقال الناس: نعم. فقال: اللَّهمَّ اشْهَدْ	٤٦
أمرنا رسولُ الله ﷺ بسبعٍ ونهانا عن سبعٍ	٤٠
إنَّ ابني هذا سيِّد، وسيُصلح الله به بين فئتَيْن من المسلمين	٢٣
ان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث	٣٦
إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتَّى لا يفخر أحد على أحد	٥١
إنَّ الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة	٢١
إنَّ الله تعالى لمَّا خلق الخلق كتب بيـده على نفسه: إنّ رحمتي تغلب غضبي	٢١
إنَّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثمَّ علموا من القرآن، ثمَّ علموا من السُّنَّة	١٧
أنْ تلد الأمَةُ رَبَّتها، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة رِعاء الشَّاء، يتطاولون في البُنيان	٢٥
أن رسول الله ﷺ أُتي بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه	٤١
أنَّ رسولَ الله ﷺ قضى في جنين امرأةٍ من بني لِحْيَان بغُرَّة	٣٩
إنَّ رُوح القُدُس نفث في رُوعي: إنَّ نفسًا لن تموت حتَّى تستكملَ أجلها	٥٢
إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات الله، لا تكسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته	٣١
إنَّ الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم، ولكن رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك	١٧
إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله	٢٦
إنْ كان ليمرُّ الهلال ثمَّ الهلال ثمَّ الهلال، ثلاثة أهلَّة في شهرين، وما يوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار	٥٠
إنَّ لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلَّا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنَّة	٢١
أنَّ النبيَّ ﷺ أمر امرأةَ ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس أن تتربَّص حَيْضة واحدة	٤٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أنَّ النبيَّ ﷺ حبس رجلًا في تهمة	٣٩
أنَّ النبيَّ ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته	٤٣
انت وسادته الَّتي ينام عليها بالليل، من أَدَمٍ حَشْوُها لِيف	٥٠
إنَّما أنا أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر	١٥
إنَّما أنسى لأسُنّ	١١
إنَّه مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء	٢٠
أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد	٥، ٥٧
أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة	٤٩
إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا	٢٩
الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله	٢٦
ب	
بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح	٢٣
ت	
تحريم كل ذي ناب من السِّبَاع، وكل ذي مخلب من الطير	٩٣
تحريم لحم الحُمُر الأهليَّة	٩٣
تقتلكَ الفئةُ الباغية	٢٣
تقضي الحائضُ الصومَ ولا تقضي الصلاة	٩٣
ث	
الثلث، والثلث كثير	٩٢
ج	
جاءت الجدة أم الأم، وأم الأب إلى أبي بكر، فقالت: إن ابن ابني	٦١، ٩٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
خ	
خذوا عَنِّي مناسككم	٢٨، ٣٥
خُلِقَت الملائكة من نور، وخُلِقَت الجِنُّ من النَّار	٢٢
د	
دعْ ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُكَ	٢٨
دُونَكم يا بني أَرْفِدَة	٤٧
ر	
رأيتُ رسولَ الله ﷺ فعل هذا ففعلت	٤٢
رأيتُ رسولَ الله ﷺ يشرب قائمًا	٣٧
رأيتُ رسولَ الله ﷺ يفعله	٤٢
س	
سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه	٢٦
سنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب	١٣
ش	
شهرٌ كتب الله عليكم صيامه ـ أي في القرآن ـ وسنَنْتُ لكم قيامَه	١٧
ص	
صَلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي	٢٨، ٣٥
صنفان من أهل النَّار لم أرَهما: قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر	٢٣
صوموا لرؤيته ـ أي الهلال ـ وأفطروا لرؤيته	٢٨
ع	
عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي	١٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية

الحديث	رقم الصفحة
ق	
قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تَضِلُّوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه	٥٨
قصر الصلاة في السفر سُنَّة سَنَّها رسول الله ﷺ	٦٠
قصَّة أصحاب الغار	٢٢
قصَّة الأعمى والأبرص والأقرع	٢٢
قصَّة مَن قتل تسعةً وتسعين نفسًا	٢٢
قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل ما لم يقسم	٩٣
قضى رسول الله ﷺ بيمينٍ وشاهد	٣٩، ٧٧
قل: آمنتُ بالله ثـمَّ استـقـمْ	٣١
ك	
كان ابن عمر يأتي شجرة بين مكَّة والمدينة، فيقيـل تحتـهـا	٤٣
كان أحسن النَّاس وأشجع الناس	٤٩
كان إذا أتاه الفيء قسمه في يومه، فأعطى الآهل حَظَّيْن، وأعطى العَزَبَ حظًّا	٣٩
كان إذا أتى بابَ قومٍ لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه	٣٩
كان إذا أخذ مضجعه قـرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٣٦
كان إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه ـ وهي حائض ـ أمرها أن تَتَّزِر	٣٧
كان إذا أراد أن يُحْرِم تطيَّب بأطيب ما يجد	٣٦
كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده	٣٧
كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيَّتُهنَّ خرج سهمها خرج بها معه	٣٨
كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها	٣٨
كان إذا اشتدَّ البرد بَكَّر بالصلاة، وإذا اشتدَّ الحرُّ أبرد بالصلاة	٣٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوِّذات، ومسح عنه بيده	٣٧
كان إذا اعتمَّ سدل عمامته بين كتفيه	٣٧، ٤١
كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث	٣٦
كان إذا التقى الختانان اغتسل	٣٨
كان إذا جلس احتبَى بيديه	٣٧
كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك	٣٧
كان إذا سُرَّ استنار وجهه، كأنَّه قطعة قمر	٤٨
كان إذا قَدِمَ من سفر تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته	٣٨
كان أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها	٤٨
كانت وسادته الَّتي ينام عليها بالليل، من أَدَمٍ حَشْوُها لِيف	٥٠
كان خاتم النبوَّة في ظهره بَضعة ناشزة	٤٧
كان خاتمه غُدَّة حمراء مثل بَيْضة الحمامة	٤٧
كان خُلُقه القرآن	٤٨
كان ربعةً من القوم، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير	٤٨
كان شعره دون الجمَّة، وفوق الوفرة	٤٨
كان شَيْبُه نحو عشرين شعرة	٤٨
كان ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جُنَب، غسل فرجه	٣٦
كان ضخم الرأس واليدين والقدمين	٤٨
كان ضخم الهامة، عظيم اللحية	٤٨
كان لا يؤذَّن له في العيدين	٤٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كان لا يأكل متَّكئًا	٤٥
كان لا يتوضَّأ بعد الغُسل	٤٥
كان لا يُسأل شيئًا إلَّا أعطاه أو سكت	٣٦
كان لا يُطِيل الموعظة يوم الجمعة	٤٥
كان له قصعة يقال لها: الغرَّاء. يحملها أربعة رجال	٤٩
كان له مؤذنان: بلال، وابن أمِّ مكتوم الأعمى	٤٩
كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم	٣٨
كان يحبُّ الدُّبَّاء	٤١
كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل أو النَّهار	٣٨
كان يصوم الاثنين والخميس	٣٦
كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة	٩٣
كان يُقَبِّل بعض أزواجه ثمَّ يُصلِّي ولا يتوضَّأ	٣٨
كان يُقَبِّل وهو صائم	٣٨
كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنَّة إلَّا من أَبَى	٥٧
ل	
لا أُلْفِيَنَّ أحدكم متَّكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري	٥٨
لا تَزْرِمُوه ـ أي: لا تقطعوا عليه بولته ـ وصُبُّوا عليها ذَنوبًا من ماء	٣١
لا تُشَدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا	٢٧
لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله	٢٩
لا تغضب	٣٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا ضرر ولا ضرار	٢٧
لا طلاقَ ولا عتاقَ في إغلاق	٧٥
لا ميراثَ لقاتل	٩٢
لا نصلِّي إلَّا حيث أمرَنا رسولُ الله ﷺ وإنْ فاتنا الوقت	٤٦
لا يُجمع بين المرأة وعمَّتها، ولا بين المرأة وخالتـها	٢٧
لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر	٢٨
لا يصلينَّ أحد العصر إلَّا في بني قُرَيْظة	٤٦
لتتبعنَّ سَنَن مَن قبلكم شِبرًا بشِبر، وذراعًا بذراع	١٤
لتركبُنَّ سُنَّة مَن كان قبلكم، حلوَها ومُرَّها	١٤
لعن الواشمة والمُستوشمة، والواصلة والمستوصلة، والنَّامصة والمتنمِّصة	٩٤
لكلِّ عملٍ شِرَّة، ولكل شِرَّة فَتْرة، فمَن كانت فترته إلى سُنَّتي فقد اهتدى	١٥
لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما سقت الهَدْي	٥٣
ليبلِّغ الشاهدُ الغائب، فإنَّ الشاهد عسى أن يبلِّغ مَن هو أوعى له منه	٥٩
ليس الشديد بالصُرعة، إنَّما الشديد الَّذي يملك نفسه عند الغضب	٢٦
لينزلنَّ ابن مريم حكمًا عدلًا	٢٦
م	
ما أحدث قومٌ بدعةً إلَّا رُفِع مثلُها من السُّنَّة	٢٠
ما أحَلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حَرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفوٌ	٩٠
ماذا تصنع إن عَرَضَ لك قضاء؟. قال: أقضي بما في كتاب الله	٥٩
المسلم: مَن سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر: مَن هجر ما نهى الله عنه	٢٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَن أحيا أرضًا ميتة فهي له	٧٨
مَن أطاعني دخل الجنَّة، ومَن عصاني فقد أبَى	٥٧
مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنةً، فعُمِلَ بها بعده كُتِبَ له مثلُ أجر مَن عمل بها	١٣
مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه	٢٧
مَن قتل قتيلًا فله سلبه	٧٨
المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير	٣٠
ن	
نضَّر الله امرأً سمع مقالتي، فوعاها، فبلَّغها كما سمعها	١٠١
نضَّر اللهُ امرأً سمع منا حديثًا فحفظه حتَّى يُبَلِّغه غَيْرَه	٥٩
نضَّر الله امرأً سمع منَّا حديثًا فحفظه حتى يُبلِّغه، فربَّ مبلَّغٍ أحفظُ له من سامع	٥، ٥٩
نعم، إن قُتِلْتَ في سبيل الله وأنت صابرٌ محتسِب، مُقْبِلٌ غير مدبر	٥٣
نهى رسولُ الله ﷺ عن بيع الغَرَر	٤٠
نهى عن ثمن الكلب، وثمن الدم، ومهر البَغِيِّ	٤٠
نهى النبي في البداية عن كتابة ما سوى القرآن	١٠١
هـ	
هو أهنأ، وأمرأ، وأبرأ	٣٧
و	
وأيُّكم مثلي؟! إنِّي أبيت يطعمني ربي ويسقيني	٤٢
وقصر الصلاة في السفر سُنَّة سَنَّها رسول الله ﷺ	٦٠
ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ قبَّلك ما قبَّلتك	٤٢
ومبتغٍ في الإسلام سُنَّة الجاهلية	١٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ي	
يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تَظالموا	٢١
يَحْرُم من الرضاع ما يَحْرُم من النسب	٢٨، ٩٣
يذهب الرجال ويبقى النساء حتَّى يكون لخمسينَ امرأةٍ قَيِّم واحد	٢٥
يُوشك أن تَتَداعَى عليكم الأمم ـ من كلِّ أفق ـ كما تَتَداعى الأَكَلَة إلى قَصْعتها	٢٤

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

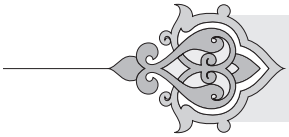

فهرس الموضوعات

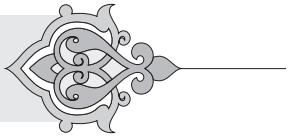

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ٤

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٥

• **مقدمة** ٧

• **السُّنَّة ومحتواها وأهميتها** ٩

❖ **تعريف السُّنَّة ومحتواها** ١١

السُّنَّة في اللغة ١١

السُّنَّة عند علماء الأُصول ١٩

السُّنَّة عند علماء الحديث ١٩

السُّنَّة عند الفقهاء ١٩

عَوْد للسُّنَّة عند علماء الحديث ٢٠

الأقوال النبويَّة ٢٠

البلاغة النبويَّة ٣١

أهميَّة الأحاديث القوليَّة ٣٤

فعله ﷺ ٣٥

ومن الأحاديث ما يتصل بحياته المنزلية وعلاقته بأزواجه ٣٧

ومن أحاديث الأفعال ما يتعلَّق بعلاقاته الاجتماعيَّة والعسكريَّة والسياسيَّة ٣٨

تقريره ﷺ ٤٥

صفته ﷺ ٤٧

ومن صفته الخُلُقية ٤٨

سيرتُه ﷺ ٤٩

السُّنَّة كلُّها حقٌّ لا مجال فيها لباطل ٥٠

غير مرخصة للطباعة

نسخة مرخصة

❖ **السُّنَّة من حيث أهميَّتُها وحُجِّيَّتُها** **٥٥**
الدليل من القرآن ٥٥
الدليل من السُّنَّة ٥٧
إجماع الصحابة والأُمَّة من بعدهم ٦٠
جُلُّ أحكام الفقه مرجعها السُّنَّة ٦٢
❖ **السُّنَّة عند مدرسةِ الرأي** **٦٤**
❖ **جميعُ الفقهاء يحتكمون إلى السُّنَّة** **٧٠**
أعذار أئمَّة الفقه في عدم العمل بسُنَّة معينة ٧١
❖ **السُّنَّة مصدر لتوجيه السلوك** **٧٩**
الصوفيَّة الأوَّلون ملتزمون باتِّباع السُّنَّة ٨٠
❖ **السُّنَّة ترسم المنهاج التفصيلي للحياة الإسلاميَّة** **٨٤**
❖ **اختلاف مدى تفصيل السُّنَّة باختلاف موضوعاتها** **٩٠**
❖ **علاقة السُّنَّة بالقرآن** **٩١**
❖ **دعوى الاستغناء بالقرآن عن السُّنَّة** **٩٦**
• **جهود المسلمين في حفظ السُّنَّة** **٩٩**
❖ **السُّنَّة من حيث توثيقها** **١٠١**
❖ **الرحلة في طلب السُّنَّة** **١٠٤**
❖ **علم أصول الحديث** **١٠٧**
• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **١١٩**
• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **١٢٣**
• **فهرس الموضوعات** **١٣٣**

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com